التنصير في باكستان

تاريخه ، أبرز دعاته ، وسائله ، موضوعاته ، مقاومته

خادم حسين إلهي بخش*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، سيدنا ونبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين، وبعد : فقد أمرنا الله عز وجل ببيان سبيل من تنكب الطريق قال تعالي :(وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)[1] كما أمرنا بالإيمان بكتابه الأخير والكتب التي سبقته للحفاظ على أسس الإسلام وثوابته الراسخة قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا)[2]

وأعظم ما يُطالب به المرء الحفاظ على المعتقدات ، وبيان ما ينخرها أو يزيلها ، والدعوة إلى اعتناق ديانة أتباع المسيح جزء من هذا المسعى غير المحمود في نظر الإسلام .

إيضاح واعتذار :

اخترت لبحثي هذا عنوان (التنصير في باكستان ، تاريخه ، أبرز دعاته ، وسائله ، موضوعاته ، مقاومته) بعد إمعان النظر في حديث القرآن عن أتباع ديانة المسيح ، وتسميته لهم (نصارى) بموجب قولهم (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) ([3]) ، فأحببت إتباع القرآن في هذه التسمية ، وهي تسمية شرف لا غبار عليها ، فالإيمان بدين المسيح عليه السلام جزء من الإيمان بالرسل، الذي لا يتم إيمان المسلم إلا به .

ربما يتوهم بعض الناس أني أنتقص من ديانة المسيح بعنواني (التنصير) دون عنوان (التبشير) أو (المسيحية) فإن ذلك غير متصور لدى المسلم ، لأن الله نهانا عن التنقيص والنيل من أحد قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) ([4])

أضف إلى ذلك أن بحثي يتحدث عن ديانة أتباع المسيح التي دخلها التحريف ، لا ديانة المسيح المنزلة من عند الله ، فهما أمران مختلفان فمن شعر بشيء من ذلك فليقرنه بأقوال دعاة التنصير الموجودة داخل البحث ، ليظهر له الفارق الضخم بين الجناية وسوء الأدب من جهة ، وإماطة الأذى عن الطريق من جهة أخرى .

سبب اختيار الموضوع :

لذلك أسباب أهمها :

أولاً : منذ أكثر من ثلاثين عاماً وأنا أشاهد الغزو التنصيري يزداد قوة يوماً بعد يومٍ في باكستان ، ويعود ذلك إلى :

أ/ كثافة الغزو الفكري بوسائل لم تكن متاحة قبل ثلاثة عقود .

---

* أستاذ قسم الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الطائف، السعودية.

ب/ تردي الوضع الاقتصادي في المجتمع المسلم الباكستاني ، وزيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء، فاستغل دعاة التنصير سوء توزيع الثروة فاستقدموا جحافل من المنصرين يحملون الخبز في اليمنى والإنجيل في اليسرى

ت/ أصيبت باكستان بنكبات وكوارث . بقضاء الله الكوني . كالزلازل والفيضانات ، والأخيرة تعود إليها كل سنة، منذ سبع سنوات ، ويستغل دعاة التنصير هذا الوضع المؤلم لعدم جاهزية الدولة لمثل هذه الظروف ، فتهرول منظمات التنصير الغربية لإغاثة المنكوبين باسم تقديم المساعدات ، ويظهر نشاطهم التنصيري عند توزيعها ، وترى ذلك جلياً داخل هذا البحث.

ثانياً : لا تقوم الدولة بأي نشاطٍ تجاه المعادين لعقيدة التوحيد ، بل نجد العديد من حكامها يدعو إلى التحرر من قيود الإسلام ، ونقض أحكامه ، و آخر عرى الإسلام نقضاً هو قانون معاقبة المستهزئ برسول الهدىﷺ [5]

ثالثاً : خطر التنصير تحت وطأة الحاجة ولقمة العيش يغزو الفقراء دون حاجز يذكر ، فأحببت أن أذكر علماء الإسلام بواجبهم الديني تجاه هذا الخطر في الصيف القارص كل سنة عند نزول الأمطار وفيضان الأنهر ، فالآلاف من الموحدين يصبحون مثلثين كل سنة في جميع مناطق باكستان الأربع .

المعوقات : واجهتني في إكمال هذا البحث معوقات أهمها :

1/ سعة الموضع ، فإنه يشمل نشاط المنصرين لأكثر من خمس مائة سنة ، فحصره في صفحات معدودات أمر ليس بالسهل اليسير ، لذلك أعترف مسبقاً بالتقصير في الإلمام بجوانب الموضوع كلها ، لكني حاولت أن آخذ أبرزها ، لعلي أُنهض همة مقعد وأوقظ النائم ليصحو ، والغافل لينتبه .

2/ يعمل المنصرون حاليا من خلف الكواليس داخل أبنية الدولة ، باسم المستشارين في كل قطاعاتها ، فلا تجد معونة تقدم إلى باكستان إلا وسيل المستشارين يسبق وصولها .

3/ تعمل العديد من الإدارات التي لها صلة بالتنصير بأسماء لا توميء إلى النشاط التنصيري ، بل تجد أسماءها متصلة بالاقتصاد أو التنمية الاجتماعية أو التنمية الزراعية ...

الدراسات السابقة:

وجدت العديد من الدراسات غير المتخصصة تحدثت عن التنصير ، إلا أنها لا تقدم صورة واضحة ، بل الغبش وعدم التنظيم يعلوها من كل جانب ، لاسيما في ما يخص جهود الدفاع المسلمة التي قاومت التنصير ، وما زالت تقاومه حتى اليوم .

فمن تلك الدراسات دراسة الشيخ كوثر نيازي (آئينة تثليث) مرآة التثليث ، ودراسة الشيخ محمد تقي عثماني (عيسائيت كيا هي) ما المسيحية ، ودراسة (مسيحيت مغربي باكستان مين) المسيحية في باكستان الغربية لرابطة الدعوة والتبليغ ، ودراسة (بنات الصليب) لقمر الدين أحمد .

وأجود هذه الدراسات المبتورة دراسة الدكتور محمد نادر رضا صديقي (باكستان مين مسيحيت) المسيحية في باكستان ، وإلقاء نظرة على فهرسه والمراجع التي رجع إليها تغنيك عن محتواها الضحل، أما جانب مقاومة التنصير فأشبه ما يكون مفقوداً سوى ذكره لكتاب الشيخ رحمة الله كيرانوي (إظهار الحق)

خطة البحث :

شملت خطة البحث : مقدمة ، وتمهيداً ، وخمسة مباحث ، وخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها

المقدمة :

تحدثت فيها عن إيضاح للعنوان ، وسبب اختياري للموضوع ، والدراسات السابقة فيه ، وخطة البحث التي سأسير عليها .

التمهيد :

وتحدثت فيه عن :اشتقاق كلمة التنصير ، ومعانيها المتعددة معتمداً على كتب اللغة ، كما فصلت القول في تحديد نسبة النصارى ، وإلى أي شيء ينتسبون .

المبحث الأول :تاريخ التنصير : وتحدثت فيه عن أسماء عيسى ابن مريم ، ودعوته ، ودخول التحريف إليها ، وأن دعوة عيسى محصورة في بني إسرائيل لا تتعداهم ، وإن رسول الهند هو تُوما الرسول ، أحد إثني عشر رسولاً ممن اختارهم المسيح عليه السلام .

المبحث الثاني : دعاة التنصير : وتحدثت فيه عن دعاة التنصير في عهد الاستعمار ، فأول هؤلاء المنصرون هم البرتغاليون، ثم الفرنسيون ، ثم البريطانيون ، ويُعد عهدهم عهد الخصوبة لدعاة التنصير ، فمن أبرزهم القسيس جارلس فور مين، والقسيس فندر ، والقسيس المحلي عماد الدين .

المبحث الثالث : وسائل التنصير : وتحدثت فيه عن حقوق الأقليات غير المسلمة في الدستور الباكستاني، واستغلاله من قبل دعاة التنصير ، ومن أعظم وسائلهم : التبليغ المباشر ، وتوزيع المطبوعات ، وعرض الأفلام ، واستغلال ظروف الفقر المادية ، وإقامة دور الأيتام ، وإقامة الكليات التعليمية والحرفية .

المبحث الرابع :موضوعات التنصير : وانحصرت في قسمين :

1/ نقض مصادر الإسلام من كون القرآن مستقى من العهد القديم والجديد ، وتأخير تدوين السنة أزال عنها ثقة التشريع ، وإن الجهاد لم يكن إلا للاستيلاء على الأموال والممتلكات وهتك الأعراض ...

2/ إثبات الدخيل بأنه الحق المحض ، وهو الموجود في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وإن التحريف لم يدخل إليهما البتة ، ونسخ القرآن لهما لا يستند إلى دليل .

المبحث الخامس : وسائل مقاومة التنصير

وتحدثت فيه عن الجهود التي بذلها أفراد المسلمين ، من علماء وتجار وسائر الناس لمقاومة التنصير، وسلكوا في ذلك طريقين :

الرد الكتابي في صورة :

تأليف الكتب ، وأعظمها كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله كيرانوي

2/ إصدار المجلات وأعظمها مجلات الشيخ ثناء الله أمرتسري .

المناظرات : وشملت صورتين :

1/ المناظرات الكتابية ، وأعظمها مناظرة الشيخ آل حسن مع الدكتور فندر

2/ المناظرات الكلامية ، وأعظمها مناظرة الشيخ رحمة الله كيرانوي مع رئيس التنصير الدكتور فندر .

الخاتمة والنتائج:

وتحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه البضاعة المزجاة ، التي حاولت فيها إبراز أهم الجوانب للموضوع ، دون الخوض في التفاصيل ، فما كان صواباً فمن الله عز وجل ، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ، وعزائي أني فتحت بابا للباحثين لتكملة المشوار ليتحقق الحق ويبطل الباطل .

وقبل الختام أود أن أنبه على أمور التزمت بها في هذا البحث منها :

1/ لم أترجم لعلمٍ من الأعلام ، ولم أتعرض للردود التفصيلية خشية الإطالة ، والتواريخ المصاحبة للعَلَمِ تومئ إلى الفترة الزمنية وأعماله .

2/ كتبتُ بعض الأعلام بالتاء المفتوحة ، رغم أن قواعد الإملاء لا تبيح ذلك ، لأن هذه الأسماء تكتب في اللغة الأردية بمثل هذه التاء (ت) المفتوحة .

3/ لم أراع جمع الردود في مكان واحدٍ ، وذلك أن الردود لم تكتب في وقتٍ واحدٍ ، فاقتضى ذلك تركها للتاريخ حسب التقديم والتأخير .

4/ كتبت عيسى ابن مريم بالألف ، لأن شروط حذفها غير متوفرة ، فمن تلك الشروط أن يكون ما بعد ابن أباً لمن قبله ، وهنا أم فيجب إلزام الألف .

أسأل الله الإخلاص والتوفيق في العمل ، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب .

تمهيد: التعريف بالتنصير:

كلمة التنصير مأخوذة من فعلٍ حروفه: نَصَرَ يَنْصُر نَصْراً ، يقول : ابن فارس في تحديد المعني لهذا البناء اللغوي (النون والصاد والراء أصلٌ صحيح ، يدل على إتيان خيرٍ وإيتائه ، ونصر الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم ، ينصرهم نصراً ، وانتصر انتقم ... وأما الإتيان فالغرب تقول نصرتُ بلد كذا إذا أتيته) .([6])

وتفصيل ما أجمله ابن فارس في (نَصَرَ) يتضح بأن هذه المادة اللغوية تعني : إعانة المظلوم ، ونصرته على عدوه ، كما تعني حسن المعونة قال تعالى (مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) ([7]) ويحدد ابن منظور معنى الآية فيقول : (من ظن من الكفار أن الله لا يظهر محمداً صلى الله عليه وسلم على من خالفه فليختنق غيظاً حتى يموت كمداً) ([8])

والتَنَصُّر معالجة النصر،و التَنَاصُرُ التعاون على النصر، والنصير فعيل بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول ، لأن كل واحدٍ من المتناصرين ناصر ومنصور ، وتَنَاصُرُ الأخبار أن يصدق بعضُها بعضاً ، والنَوَاصِر مجاري الماء إلى الأودية ([9])

والأنصار أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج الذين ناصروه حين هاجر إليهم ، وهم خلاف المهاجرين ، غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء ، وصار كأنه اسمٌ لِحَي ، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع فقيل أنصاري ([10])

وفي نسبة (النصراني والنصرانية) قولان لأهل اللغة :

1/ كلمة نصارى جمع نَصْرَان ونَصْرَانة مثل ندْمان وندمانة ، ولكن ذلك غير مستعملٍ في اللغة ، وإنما المستعمل فيها نصراني ونصرانية ، بياء النسب ، وهو ضعيف ، إلا أن نادر النسب يسعه ، فالنسبة جاءت – في نظري – من المفهوم العام لمادة نصر ، ويؤيد ذلك قول الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) ([11]) ويميل إلى هذا الرأي صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب) ([12])

2 / إنهم منسوبون إلى قرية (الناصرة) بطبرية في فلسطين،واليها ينتسب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ([13])

والجمع بين القولين ممكن ، فالنصارى يسعون لنصرة دين المسيح ويحاولون الانتساب إلى قرية الناصرة التي قضى فيها المسيح طفولته وريعان شبابه .

و(النصراني والنصرانية) من تعبد بدين النصرانية ([14]) و (النصرانية) دين أتباع المسيح عليه السلام .[15] و (الأَنْصَرُ الأَقْلَف) ([16]) ويعلل صاحب لسان العرب الوصف فيقول : (لأن النصارى قُلْفٌ) .

و(تَنَصَّر) الرجل دخل في النصرانية ، و(نَصَّرَه تَنْصِيراً) جعله نصرانيا .([17])

ف(التَنْصِيْر) إذن إدخال الناس في ديانة أتباع المسيح عيسى ابن مريم بالترغيب والترهيب .

المبحث الأول : تاريخ التنصير:

وُلد آخر أنبياء بني إسرائيل (عيسى ابن مريم) عليه السلام في بيت لحم القرية من القدس ، عن طريق المعجزة بنص القرآن والإنجيل قال تعالى (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)([18])

ويشرح متى في إنجيله هذه الولادة فيقول : (أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حُلم قائلاً : يا يوسف بن داؤد لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذي حُبِل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم) ([19])

فسماه القرآن الكريم عيسى ابن مريم ([20]) وتسميه الأناجيل له بيسوع ([21]) وفي اللغة العبرية يشوع بالمعجمة لا المهملة الذي يعني المخلص ([22])

ولم يكن دينه بدعاً في الديانات الإلهية ، فقد وسع دينه ما وسع الديانات المنزلة من عند الله عز وجل، فاشتمل ما تشتمل عليه كل الديانات من المعتقدات التي لا تقبل النسخ والتبديل ، والأحكام العملية التي تحتمل التغيير والنسخ .

ولقب بالمسيح نظراً لما كان مطبقاً من التقاليد اليهودية المتوارثة،فقد كان نبي بني إسرائيل أو كاهنهم يمسح بزيت الزيتون كل من أراد اليهود ولايته أو رأوا فيه تقوى بارزة ، وهو بعينه ما عمل بعيسى ابن مريم لذا لقب بالمسيح ([23])

ولم تتعد دعوته دعوة الأنبياء والرسل قبله قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)([24]) وقال عن عيسى ابن مريم (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)([25])

وما زال حصر العبادة في الله وعدم الشرك به يتلألأ في الأناجيل حتى اليوم رغم تحريفها فها هو إنجيل متى ينص على هذا المبدأ مخبراً عن عيسى عليه السلام فيقول : (ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها أن خررتَ وسجدت لي ، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) ([26]) وفي إنجيل لوقا (القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع حياتنا) ([27])

من التوحيد إلى التثليث:

ثم أخذ الانحراف طريقه إلى دين التوحيد حتى استقر على التثليث وتعدد الإله وأعظم الأحداث التي قادته إلى ذلك – في نظري – هي :

1/ مجمع نيقية المسكوني :

عقد مجمع نيقية سنة 325 م من أجل إقرار ألوهية الابن ومحو الشقاق في تصور الإله عند النصارى أجمعين وجاء في قراره (إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وإنه لم يوجد قبل أن يولد ، وإنه وجد من لا شيء ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول إنه قابل للتغيير) ([28])

ومنذ ذلك اليوم دخل النصرانية ثنائية الإله رسمياً ، وقبل النصارى الموحدون نتائج هذا المجمع معتقدين أن الديانة النصرانية الجديدة التي لقحت بالوثنية ستتخلص منها نهاية الأمر ويتغلب التوحيد على أرجاس الوثنية في نهاية المطاف

2/ المجمع المسكوني القسطنطيني الأول :

وقد عقد هذا المجمع عام 381م وناقش ألوهية روح القدس ، وأصدر القرار التالي: (ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به،ومن كفر به وجب عليه اللعن) ([29])

ومنذ ذلك اليوم دخلت ألوهية روح القدس في الديانة النصرانية رسميا ، وأصبح الإيمان بالإله الذي يتكون من ثلاثة أقانيم (أجزاء) الآب ، والابن ، وروح القدس أساس عقيدة النصارى ، وبذلك اكتمل التثليث .

ويكفي في كشف حقيقته قول الحق تبارك وتعالى:(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(72) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون) ([30])

رسالة المسيح عامة أو خاصة:

تتفق نصوص القرآن والأناجيل أن دعوة عيسى ابن مريم جاءت لهداية بني إسرائيل ، دون أن تكون دعوة عالمية قال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (48) وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

ويروي إنجيل متى وصية يسوع بنصها [redacted] عن تقديم الدعوة إلى غير الإسرائيليين فيقول : (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة) ([33])

ويخبرنا إنجيل لوقا بأن عيسى ابن مريم كان فداء لشعبه ، وشعبه هم بنو إسرائيل لا سائر البشر (وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله ، فوقع خوف على كل جيرانهم وتُحُدِّث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية . فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين: أترى ماذا يكون هذا الصبي ، وكانت سد الرب معه . وامتلأ زكريا أبوه من روح القدس وتنبأ قائلاً : مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه) ([34])

ويروي إنجيل يوحنا قصة ظهور المسيح لتلاميذه بعد ما قام من الأموات في المرة الثالثة فيقول:[13] ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذلِكَ السَّمَكَ. [14]هذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ.

[15]فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَاسِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ:«نَعَمْ يَارَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ خِرَافِي». [16]قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً:«يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ:«نَعَمْ يَارَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ:«ارْعَ غَنَمِي». [17]قَالَ لَهُ ثَالِثَةً:«يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزِنَ بُطْرُسُ لأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَارَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«ارْعَ غَنَمِي.»([35])

وما أكثر النصوص الإنجيلية التي تحصر دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام في بني إسرائيل ، إلا أن دعاة التنصير يعدون دعوته دعوة عالمية ، بناءً على نص مبهمٍ في آخر إنجيل متى يخبر أن عيسى عليه السلام قال : (فتقدم يسوع وكلهم قائلاً : دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) ([36])

وقد فند القضية خبير النصرانية ومفسر القرآن الشيخ عبد الماجد دريا بادي فقال : (يقر عقلاء النصرانية وفضلاؤها حتى اليوم بأن دعوة عيسى ابن مريم لم تكن دعوة عالمية ، وإن تصور العالمية دخيل على هذه الدعوة ، ظلت الكنيسة تلمعه منذ ألفي سنة ، لا نجد له امتداداً في تعاليم عيسى ابن مريم عليه السلام) ([37])

وحديث البخاري خير شاهد لما ذهب إليه الشيخ دريا بادي (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، و أيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة . وأعطيت الشفاعة) ([38])

فصيغة الحصر (لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي) سدت كل باب أمام دعاة التنصير بعالمية دعوة عيسى ابن مريم، فنص الإنجيل لا يستطيع نصراني الجزم بصحته **100%** بينما نص إمام المحدثين يقود كل مسلم وكل منصف إلى الاعتراف بصحته ، فثبت أن دعوة عيسى محصورة في بني إسرائيل ، لا تشمل بقية البشر فهو كسائر الأنبياء أُرسلوا إلى أقوامٍ محدودين عليهم السلام ولم تكن دعوتهم عامة للبشر أجمعين .

وعلى فرض أن دعوة عيسى ابن مريم تحمل صبغة العالمية فمن هم دعاتها الأولون ؟ ومن هو الداعي الذي اتجه إلى الهند ؟ وبث دعوة عيسى عليه السلام فيها ؟

[redacted] أحس بكفر بني إسرائيل ، وعدم الإيمان بدعوته ، طلب ممن آمن به أن يحمل الدعوة إلى غيره (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ([39])

فمن هؤلاء الحواريون ([40]) الذين استجابوا لحمل عبء الدعوة ؟ نجد الإجابة على هذا التساؤل في الأناجيل دون القرآن ، فقد حددت عدد أسمائهم ونصت على بعض مهنهم وهم : اثنا عشر رسولا : سِمْعَان وسماه عيسى ابن مريم ب بطرس ، وأخوه أَنْدَرَاوُس ، ويعقوب بن زَبَدِي ، وأخوه يوحنا وسماهما عيسى بن مريم ب بُوَا نَرْجِس الذي يعني ابني رعد ، وفيلبس ، وبَرْثُو لَمَاوُس ، وتُوْمَا ، ومتى العشار ، ويعقوب بن حَلْفِي ، ولَبَّاوُس ويلقب ب تَدَّاوُس ، وسِمْعَان القانوني الغيور ، ويهوذا الإِسْخَرْيُوطِي ([41])

ويروي إنجيل لوقا أن عيسى ابن مريم أطلق على هؤلاء تسمية الرسول فقال : ([12]وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ.
[13]وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا «رُسُلاً»

توما رسول الهند ([42])

تتفق المصادر النصرانية التي أرخت للتنصير في الهند أن توما الرسول هو رسول الهند ، وتتبع حياته في إنجيل يوحنا – الذي يكثر من ذكره لصداقته به – يقودنا إلى أن الرجل كان جريئا في التساؤل فقد كان يسأل عيسى ابن مريم بعد أن يهاب التلاميذ مساءلته ([43]) ولم يكن الرجل يؤمن بالروايات المنقولة شفاها حتى يرى الحدث بأم عينيه . ([44])

مع هذه الدقة في الطبع ظل توما الرسول بموجب الروايات القسيسية الهندية متردداً في تعيين الجهة التي يذهب إليها لتبليغ دعوته ، حتى رأى عيسى ابن مريم في المنام يقول له اذهب إلى الهند واسمعْ أهلها كلامي وإن فضلي يصاحبك ، وكان ذلك عام 47م أو 48 من الميلاد ([45])

وتضيف بعض الروايات القسيسية أن عيسى ابن مريم أخبره باستشهاده أيضاً بعد إيمان أهل الهند بدعوته ([46])

وتختلف مصادر النصرانية الهندية في تحديد سنة المجيء لتوما الرسول إلى الهند وتحصره فيما بين عام 47م و52 م ، وإن أول ظهوره كان بمدينة تيكسلا الأثرية – في باكستان حاليا – و وتحصره فيما بين 47م و52 م ، وإن أول ظهوره كان بمدينة تيكسلا الأثرية في باكستان .

و يستندون في ذلك إلى العثور على صليب مربع أثري وجده فلاح في حراثة أرضه في هذه المنطقة عام 1935 م، ويعتقدون أن هذا الصليب يعود تاريخه إلى القرن الأول الميلادي ، وأن توما الرسول أقام كنيسته الأولى في هذه المنطقة ، وإن ملك الهند كوندو فرانس آمن بدعوته ، إلا أن داعي الأجل كان أسرع إليه فتسبب موته في بروز المشاكل لدعوة توما مما أجبرته على الهجرة إلى جزيرة سقوطرة ، ومنها إلى جنوب الهند .

وإن الرجل ظل يدعو في المناطق الهندية المختلفة حتى قتل ، وتختلف الروايات القسيسية في سنة مقتله ، ويمكن حصر مقتله فيما بين عام 65م –72م ، وإنه قتل في مدينة مائيلا بور على أيدي البراهمة الهندوس على الساحل الشرقي من الهند ، وإن الفاتيكان يقيم ذكرى استشهاده يوم 21 ديسمبر من كل عام .([47])

يبدو لي أن وصول توما الرسول إلى الهند وما تبع ذلك من أحداث لا يستند إلى دليل لأمور :

1/ مدينة تيكسلا مدينة أثرية قديمة ذات حضارات مختلفة ، كشف النقاب عنها بنو جلدة القساوسة من البعثات الاستكشافية الغربية ، فلو وجدوا فيها شيئاً يمت بصلة إلى دعوة عيسى ابن مريم لما ترددوا في إعلانها وتضخيمها ، وبما أن ذلك غير موجود على أرض الواقع فلا مجال لتصديق توهمات القساوسة والرهبان الذين ولدوا بعد وقوع الحدث بألف و تسعمائة سنة على أقل تقدير .

2/ وجود صليب أثري عام 1935م أقرب دلالة إلى وجود دعاة التنصير في المنطقة في العهد المغولي ، لاسيما في عهد الملك أكبر ، فقد سمح للبعثات التنصيرية بنشر دعوتها في أرجاء مملكته التي امتدت من أفغانستان غرباً إلى بورما شرقا ، ولا تخلو كتب التاريخ عن ذكر ذلك .

3/ لم أجد مصدراً وثائقياً يتحدث عن تاريخ الهند القديم يذكر شيئاً عن توما الرسول ودعوته ، رغم أن المؤرخين لتاريخ الهند ذكروا أحداثاً دون هذا الحدث في القيمة والموضوعية يعود تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح بخمسة عشر قرنا، كغزوح قبيلة الآريين واستيطانهم للهند قبل الميلاد بزمن غير يسير .

4/ عاش توما الرسول قرابة خمس وعشرين سنة في الهند ، خدم فيها دعوته وأسلم على يديه ملك الهند ، فلماذا لم تحتفظ وثيقة أعمال الرسل الملحقة بالأناجيل بشيء من أعماله ، رغم أنها مخصصة لهذا الغرض ، فخلوها من نشاط توما الرسول في الدعوة حتى التضحية بروحه في تحقيق غاياتها يقودني إلى الجزم بأن الحدث برمته مختلق موضوع ، وضعه قساوسة الهند لربط ماضيهم وتضخيمه في هذه المنطقة .

وبمقتل توما الرسول – على الرواية النصرانية – صُفِّيَتْ ساحة الهند كلها من النصارى ، فلا نجد لهم وجوداً إلا في القرن الرابع الميلادي ، إذ وَفَد إلى ساحل مالابار نصارى الشام فعاملهم أمراء المناطق بالحسنى ، وسمحوا لقساوستهم بالفصل في منازعاتهم في القضايا المدنية والجنائية .([48])

وظلت تلك المجموعات النصرانية المشتتة محصورة في الساحل ، لم تتوغل إلى داخل الهند قرابة ألف سنة حتى بداية الدولة المغولية التي حكمت الهند باسم الإسلام ، ففي عهد الملك جلال الدين أكبر فرخ التنصير حتى وصل إلى بلاط الملك نفسه فوجد فيه بغيته ، لذا نجد مؤرخي التنصير يمدحون أكبر ويصفونه بالملك المتسامح .

فقد كتب مؤرخ النصرانية في الهند إيس .كي . داس عن تسامح أكبر مع النصارى والتنصير فقال : (لم يكن النصارى في عهد الملك أكبر أحراراً في أداء شعائر التعبد فحسب ، بل لم يكن هناك قيود في بناء الكنائس وأماكن العبادة ، وقد كان يعيش في قصره علماء النصرانية من دول مختلفة ، وكانوا يشرحون له مبادئ دينهم وكان يصغي إليهم بكامل قواه ، وكانت إحدى زوجاته من أتباع هذا الدين وكان لها أثر واضح في حياته الشخصية ، إلا أنه لم يتنصر على الإطلاق) ([49])

أما المنصرون البرتغاليون فقد أغدق عليهم أكبر في نشر التنصير، ويقر بذلك المسلمون والنصارى على حد سواء ، فلم يكن أكبر يتبنى ديناً معيناً وكان شغوفاً بالبحث في طرق العبادات لديانات العالم كلها، فما أن سمع بوجود قسسٍ في ميناء جوا حتى أرسل كتباً يطالبهم بالمجيء إليه وشرح معتقداتهم في بلاطه ، فوصل الوفد إلى عاصمته – فتح بور سيكري – في 9 فبراير 1568م فقدم إليه صورة عيسى ابن مريم فعظمها اكبر أشد من تعظيم النصارى لها ، ثم أعطاهم كتباً إلى أمرائه يحثهم فيها على تسهيل مهام هؤلاء الدعاة . ([50])

وكان أكبر قد أنشأ ديناً جديداً يحل محل الإسلام ، وأحل فيه ناقوس النصارى محل الأذان ، وهو أول ملك هندي يأمر بالتصنيف في شرح المعتقدات النصرانية ، ولعل كتاب سيرت مسيح (سيرة المسيح) الذي ألفه القسيس جيروم هو أول كتاب في هذا الميدان ، كما طلب الملك منه تأليف كتاب يسير الطريق لابنه جهانكير ، فخرج إلى حيز الوجود جشمة حيات (منبع الحياة) وفيه ألوهية المسيح وقصص الحواريين وترجمة أجزاء من الإنجيل وحوادث استشهاد القديسين، ونسخة كل كتاب باللغة الفارسية ما زالت محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدر آباد بالهند حتى اليوم ([51])

المبحث الثاني : دعاة التنصير:

يقر التاريخ أن فاسكو دي جاما البرتغالي هو مكتشف رأس الرجاء الصالح ، وهو مكتشف طريق التجارة في المحيط الهندي ، وأن الرجل ما أن وصل إلى ميناء كلكتة عام **1498**م بالهند حتى قال قولته الشهيرة مبدياً بغضه للإسلام والمسلمين : (ها نحن قد طوقنا عنق الإسلام ، ولم يبق إلا جذب الحبل ليختنق ويموت) ويعني بذلك سيطرة الدول النصرانية على المناطق الإسلامية من مضيق جبل طارق إلى إندونيسيا .

ومن هنا لا يختلف اثنان أن الاستعمار والتنصير كفرسي رهان ، متى وُجد أحدهما وُجِد الآخر ، فمتى وجد المستعمر أعقبه المُنَصِّر ، ومتى وجد المنصر أعقبه المستعمر ، وقد مرت المنطقة بثلاثة أنواع من المنصرين في هذا العهد :

1/ المنصرون البرتغاليون

2/ المنصرون الفرنسيون

3/ المنصرون البريطانيون

المنصرون البرتغاليون:

سبق أن ذكرت حفاوة الملك جلال الدين أكبر بدعاة التنصير البرتغاليين وخطاباته لتسهيل مهامهم إلى أمرائه، فأخذوا يتوسعون في النفوذ والسيطرة على حساب الدولة الإسلامية حتى أصبحت لهم مستعمرات على طول شواطئ المحيط الهندي . وازدادوا نفوذاً بالتصاهر مع أهل المنطقة ، فتزوجوا منهم بالرضا حيناً وبالجبر أحياناً أخرى ، ونصارى منطقة جوى الحاليين خير شاهدٍ لمثل هذا التصاهر.

ويمتاز عهد المنصرين البرتغاليين بالتنصير الجبري وإكره الناس على اعتناق النصرانية دون هوادة، وتحميهم في ذلك الدولة الأم وحاكم المستعمرة . وكانت البرتغال قد شرعت قانونا مفاده (من وقف في وجه دعوة التنصير وتمكن الجيش البرتغالي من نيل الغلبة عليه واستطاع من أسر الحاكم وأفراد أسرته فإنهم يجبرون على اعتناق النصرانية كرها)

لذا حين هزم الحاكم المسلم لمنطقة (برجون) حاكم فرمان خان ألقي القبض عليه وعلى ابنته وأجبرا على اعتناق النصرانية ، ثم أحالهم فاسكو دي جاما حاكم منطقة جوى إلى (لسبن) عاصمة البرتغال لتحكم عليه بما تراه مناسباً بعد التنصير ([52])

و يعترف المستعمر البرتغالي أن دعاة التنصير عموماً لم يكونوا متقفين ، ولم يكن لديهم علم بالهندوسية أو الإسلام لنقص الأسس وغرس التنصير لذا كثيراً ما كان المنصر يصطدم بأهل المنطقة ، وهذا ما أجبر المستعمر على إنشاء (منظمة الكنيسة الدعوية جرج مشن سوسائتي) وكان من أعظم مهامها تربية المنصرين تربية دعويه ([53])

وأعقب ذلك وجود (منظمة جيوست الدعوية) التي علمت دعاتها اللغة السنسكرتية ، وسمحت لهم بارتداء لباس البراهمة – علماء الهندوسية – الأزرق ، وادعائهم أنهم أولاد البراهمة في القارة الأوربية، وأن الويد – كتاب الهندوس المقدس – الصحيح هو ما نحمله نحن لا ما ينشده براهمة الهندوسية في الهند .([54])

ويذكر القسيس المعاصر للاستعمار البرتغالي قول الحاكم البرتغالي في تعداد دعاة التنصير في منطقته فيقول : (أخبرنا الحاكم البرتغالي لمنطقة الهند عام 1705م أن دعاة التنصير الأحرار في منطقته بلغ ألفان وخمسمائة داعية ، وأن الأفراد الواعين لا ينخرطون في بث الدعوة إلى التنصير) ([55])

أضف إلى ذلك أن المستعمر أنشأ وظيفة حكومية أطلق عليها اسم (خادم الدين) لنشر التنصير على حساب الدولة وخزينتها العامة وأنفق عليها بسخاء دون قيود . ([56])

المنصرون الفرنسيون:

لم ينل المستعمرون الفرنسيون النصيب الذي ناله المستعمرون البرتغاليون والبريطانيون من شعب الهند في باب التنصير ، وظل نشاطهم محصوراً في منطقة باندي جري ، واتخذوا هذه المدينة عاصمة لاستعمارهم في الهند .

ولتمكين الصلة بين الاستعمار والتنصير أرسلت (منظمة دسميشن استرنجي) الكاثوليكية دعاتها المنصرين إلى الهند ، وتركز نشاطهم في المناطق المجاورة لعاصمة الاستعمار ، فانتشر دعاتها في كل من : كمبا كونم ، بتور ميسور ، والجهة الغربية لمنطقة مدراس .

وسرعان ما أصاب دعاة دسميشن الضعف والهوان وأخذوا يغادرون الهند إلى حيث أتوا دون أن يحققوا أهدافاً ذات شأن . ([57])

المنصرون البريطانيون:

نافست شركة الهند الشرقية التجار البرتغاليين في تقسيم غنائم الهند التي كان يطلق عليها آنذاك اسم (العصفور الذهبي)، وكانت كنيسة بروتستنت في بريطانيا قد أعلنت استقلالها عن الكنيسة الكاثوليكية الأم عام 1520م ، فوضعت ملكة بريطاني اليزابيث الأولى حجر أساس هذه الكنيسة عام 1558م ، وأطلق عليها اسم كنيسة انجلترا (جرج أف انكلند) ، وبذلك اكتسبت هذه الكنيسة الصبغة الرسمية للدولة البريطانية ، فأينما حل الاستعمار البريطاني أعقبه المنصرون البروتستنت التابعون لهذه الكنيسة .

وقد امتاز منصرو البروتستنت هؤلاء بكثرة بناء الكنائس الفخمة ، ذات البنيان العريض وقلة المساحة التي تستوعب المرتادين ، وكل الكنائس القائمة في باكستان اليوم تنبئ عن بُنَاتِها البروتستنت الذين صاحبوا الاستعمار البريطاني للهند . ([58])

واستعمل الاستعمار البريطاني كل وسائله الحكومية وغير الحكومية لتنصير شعب الهند ، فمن ذلك الإغراء الوظيفي في الدولة الأم ، و تقديم معونات سخية لمن يعتنق النصرانية ....، ولتحقيق هذا الهدف أنشأ المستعمر البريطاني في عاصمته (هيئة التنصير اللندنية) عام 1795م ، وكانت مثالاً يُقتدى بها في إقامة هيئات تنصيرية مشابهة ، في كل من السويد والنرويج وألمانيا وهولندا واسكتلندا وأميريكا .

وأرسلت هذه الهيئات دعاتها إلى جميع أرجاء المعمورة ، وبذلك اكتست الأرض كسوة التنصير ، وحصرت هيئة التنصير اللندنية عملها في الهند بتنصير أولاد الفقراء والأيتام ، فكانت تلتقط أمثال هؤلاء المعوزين من مناطقهم وتقيم لهم منشآت خاصة تهتم بتربيتهم تربية نصرانية .([59])

وإذا نظرنا إلى وثيقة التعيين التي أعطيها أول حاكم استعماري للهند – لورد منتو – عام 1805م نجد بجوار هذه الوثيقة وثيقة متممة لمسؤولياته ، فقد كلفته الوثيقة المتممة بتبليغ التنصير ، وبموجبها أصدر اللورد منتو في عهده عام 1813م رخصاً لتبليغ التنصير لجميع المنصرين الوافدين والمحليين ، ويعد القساوسة المحليون تلك الرخص منة من منته ، لا ينسى التاريخ فضله ما بقيت النصرانية على وجه الأرض ([60])

وبذلك أصبح التنصير يستظل بظل دولة الاستعمار ، وأصبح دعاته في حماية الدولة ، واكتسى العمل التنصيري كسوة الحكم والحاكم ، وكانت المراقبة العامة في كل ذلك لكنيسة انجلترا البروتستانتية التي ساهم في مشاريعها التنصيرية الرأسماليون الأثرياء من كل أنحاء أوربا والدولة المستعمرة .

وبذلك انتشر العمل التنصيري المنظم بفتح المدارس وبناء المستشفيات وإقامة المعاهد التقنية وترجمة كتب التنصير إلى اللغات المحلية وإقامة المعارض برئاسة الأمراء للاحتفاء بالأعمال التنصيرية،إنسانية الظاهر باطنية المذهب ([61])

وازداد العمل التنصيري متانة بتشجيع الحاكمَيْن الإنجليزيَيْن لورنس منتكمري وكرنل ماتن الذَين حكما منطقة البنجاب ومنطقة سرحد ، فقد وصل التنصير في عهدهما ذروته ، فحوت البنجاب بمفردها على ألفي مركز للتنصير وألف مدرسة للتعليم يديرها القساوسة والمنصرون ، ومئات المشاريع التنصيرية التي استمرت عشرات السنوات .

وأنتج هذا النشاط غير المعهود وزارة أطلق عليها المستعمر اسم (وزارة الأمور الدينية) وكان جل موظفيها من القساوسة البيض، فما ترك هؤلاء وسيلة من وسائل الدنيا المباحة وغير المباحة إلا تبنوها لتنصير شعب الهند المسلم والهندوسي على حد سواء ، وكان الهندوسي أقرب إليهم من المسلم لوجود التشابه بين الديانتين في الرموز الدينية الموهومة .

وإلقاء نظرة على ما كتبه الآب القسيس عنايت برنارد في كتابه بنجاب مين مسيحيت عام 1886– 1986م (التنصير في منطقة البنجاب 1886– 1986 م) يدهشك بالمشاريع والنشاطات المتنوعة والمظلات الرسمية التي أقيمت لتنصير هذه المنطقة التي تعد أكبر مناطق الهند على الإطلاق .

رغم هذه الجهود ظل النصارى أقلية يمكن عدهم بأبسط الطرق التقليدية ، ووزنهم في المجتمع البنجابي لا يتعدى وزن الملح في الطعام ، وإن الشكر لله أولاً و آخرا .

أبرز دعاة التنصير:

دعاة التنصير هم الأفراد الذين يطلبون من الناس الدخول فيما تدعو إليه الأناجيل ، وعدد هؤلاء الدعاة يتجاوز الألوف ، وذكر جميعهم بجميع أعمالهم محتاج إلى مجلدات ، لذا سأكتفي بذكر المشهورين منهم ، سواءٌ كانوا دعاة أوربيين أو دعاة محليين مع أشهر أعمالهم .

1/ القسيس جارلس فور مين:

أمريكي الجنسية من مواليد 1821م ، وصل مدينة كلكته في الهند كداع إلى التنصير عام 1848م ، ومنها تحول إلى مدينة لاهور الباكستانية ، وكان صديقاً حميما للقسيس جون نيوتن ، وقادته تلك الصداقة إلى التدريس في مدرسته، ولنشاطه المتميز عينته حكومة الاستعمار كمدير عام للتعليم في منطقة البنجاب .

وكان من مهام الرجل التطوعية إدارة المدرسة المركزية للتنصير، وكان لهذه المدرسة عشرون فرعا نهاريا وفرعاً واحداً ليلياً، ولصلته بالتعليم تمكن جارلس من تحويل مدرسته في حي رنك محل بلاهور القديمة إلى كلية مستقلة. وعمل الرجل في سلك التنصير خمساً وأربعين عاما في منطقة البنجاب، لا يعرف الكسل والملل إلى نفسه سبيلاً.[62]

2/ القسيس رابرت كلارك:

ألماني الجنسية ، وصل إلى كلكته عام **1852**م ، وكان يحمل الشهادة الجامعية لذا عينته (منظمة الكنيسة الدعوة) كأول داع لها في منطقة البنجاب ، وشاركته في هذا العمل زوجته فقامت بالتنصير في مجتمع النساء البنجابي خير قيام .

وكان من مهامه التعميد ، ومن نتاجه المعمدين البارزين القسيس المحلي عماد الدين ، ومن أضخم أعماله وضع حجر الأساس ل (منظمة الكتاب الديني في البنجاب) بالمشاركة مع منظمة التنصير الأمريكية ، وكوفئ على ذلك بتعيينه كأول سكرتير لهذه المنظمة .

ولصيانة من اعتنق النصرانية من شعب الهند أنشأ (منظمة الكنيسة القروية) ، لحمايتهم من الاختلافات العقيدية والعملية القائمة بين دعاة التنصير الغربيين ، وصونهم من نقل عدوى الاختلافات إليهم .

وفي عام **1882**م نال عضوية الصداقة من جامعة البنجاب – أكبر الجامعات الباكستانية على الإطلاق – ومات الرجل بعد نيل العضوية بثمان سنوات ، ودفن في مدينة أمرتسر الهندية القريبة من مدينة لاهور الباكستانية .[63]

3/ القسيس الدكتور فندر:

قدم إلى الهند عام **1837**م كداعية إلى التنصير ، واشتهر فيها بالتأليف والمناظرات الكلامية ، ومن أهم مؤلفاته (ميزان الحق) (حل الإشكال) (مفتاح الأسرار) وناظره الشيخ رحمة الله الهندي فانهزم في المناظرة أمامه ، وعين موعداً آخر لمناظرة أخرى فلم يحضر وفر إلى استانبول وتعقبه الشيخ إلى هناك فلم يف بما وعد واختفى عن الأنظار .

فألف الشيخ في الرد على شبهاته في المؤلفات الثلاثة ومناظرته له كتابه العالمي الشهير (إظهار الحق) .[64]

4/ القسيس هنري مارتن:

وصل القسيس الثري خريج جامعة كيمبرج إلى مدينة كلكته عام **1806**م ، ولثرائه أنشأ مدارس متعددة في منطقة البنغال لتحقيق أهداف التنصير ، وأهم عملٍ خدم به هدفه المنشود هو ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الأردية واللغة الفارسية ، ولتصحيح الترجمة وسلاسة لغتها سافر إلى إيران وبعد إتمام مهمته فيها غادرها إلى انجلترا لطباعة ما بذل حياته من أجله ، إلا أن المنية إخترمته في الطريق فلم يتحقق له ما أراد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .[65]

5/ القسيس وليام كيري:

أقام الرجل مؤتمرات متعددة في بضع سنوات في لندن لتهيئة الشعب البريطاني من أجل التنصير في الهند ، وتمكن من إنشاء منظمة الدعاة الكنسية (بشب سوسائتي) وكان وليم كيري البروتستنتي أول دعاتها إلى الهند فوصلها عام **1793**م ، واتخذ مدينة سرام بور مركزاً لنشاطاته الدعوية .

ومن أهم أعماله :

1/ إنشاء كنيسة مستقلة (Baptist church) تختص بتعميد من يدخل النصرانية دون تأخير ، لذا كانت هذه [redacted] الليل والنهار .

2/ إقامة مطبع لطباعة ترجمة الإنجيل بالطرق الحديثة .([66])

6/ القسيس المحلي عماد الدين:

قسيس محلي تنصر نتيجة جهود التنصير للقساوسة البيض الأوربيين، وعَمَّدَه القسيس رابرت كلارك عام 1861م، أفنى حياته في الدعوة إلى التنصير ، وامتاز نشاطه بالذهاب إلى بيوت الناس ودعوتهم إلى الإنجيل ، لذا كافأته دولة الاستعمار بمنحه درجة علمية (الحكيم الإلهي D.D)وكان يفتخر بها طول حياته .

كما امتاز نشاطه بالتأليف لصالح التنصير ونقد الإسلام ، فمن أشهر مؤلفاته في ذلك (تلخيص الأحاديث) (تعليقات) (عقوبة الضالين) (تحقيق الإيمان) (مكاشفات) (حقيقي عرفان) المعرفة الحقيقية (من أنا) (تفسير إنجيل متى) (آثار قيامت) آثار القيامة .

ويمتاز أسلوبه في هذه الكتب كلها بسوء الأدب تجاه الإسلام ، فلا يتورع عن السب والشتم لأخلاقيات الإسلام ونبيه ، ويماثله في ذلك القسيس الاسكتلندي الأبيض يوكو دن الذي نال الدرجة العلمية الكنسية ذاتها ، ونشر دعوته في منطقة سيالكوت ، ومنطقة كوجرانواله ، ومنطقة نارو وال ، ومنطقة ظفر وال ، ومنطقة كورداس بور ، ومنطقة راولبندي .([67])

ويحلل البروفيسور أصغر علي روحي علمية هؤلاء القساوسة المحليين فيقول:(قساوسة الهند المحليين جهال، لا يتمتعون بعمق التفكير،متعصبون لايسعهم الاستماع إلى رأي غيرهم، حفظوا شبهات تتردد منذ مئات السنوات وأجيب عنها في حينها آنذاك، ونجيب عنها الآن إلا أنهم غير مستعدين لسماع الإجابة عما يعترضون به على الإسلام) ([68])

المبحث الثالث : وسائل التنصير:

يضمن دستور باكستان حقوق الأقليات غير المسلمة ، فاستغلها المنصرون بأوسع ما تحمله كلمة الحقوق من المفاهيم، وعززوا موقفهم بوجود أفراد من الأقليات مكنهم الاستعمار من مقاليد الأمور عند الاستقلال ، ووجود أفراد رباهم الاستعمار على سمعه وبصره ممن نشأ على التغريب والسنن الغربية .

فوجد المنصرون دعماً سياسياً ومادياً من هذين الصنفين ، فجل القادة السياسيين وقيادات الجيش من هذين الصنفين، وسمحا له باستعمال كل الوسائل الممكنة لتنصير شعب باكستان المسلم ، ومن أعظم هذه الوسائل :

أولاً : التبليغ المباشر:

فالقسس يخاطبون الناس في أماكن التجمع العامة ، كمواقف الباصات ومحطات القطارات وأبواب النوادي وأبواب الكليات التقنية ... ، بينما القسيسات ترتاد البيوت وتدعو رباتها إلى اعتناق التنصير ، وكثير من هؤلاء أوفياء لما يدعون إليه ، فقد يمشي القسيس على رجليه مسافات تزيد على ثلاثين كيلو متراً لخدمة دعوته ، ومنهم من يعمل في هذا الميدان دون أجر أو راتب .

ويوجد على أرض باكستان اليوم أكثر خمسين منظمة تعمل في هذا الميدان من أشهرها :

1/ إنجيلكن جرج

2/ دي سيالكوت جرج كونسل

3/ جلدرن أف كارد

4/ دي فيلوشب ايونجي ليكل بب تيست جرجز إن كندا

5/ سالويشن آرمي

6/دي باكستان مشن آف آرمي انترنيشنل فارن مشنز ايسوسي إيشن

ثانيا : توزيع المطبوعات التنصيرية:

يحمل مبلغ التنصير في الأعم الأغلب كتيبات تدعو إلى التنصير ، ويقوم بتوزيعها مجانا عقب خطبته التنصيرية ، وتسنده في ذلك أكثر من خمس وعشرين إدارة مسجلة رسمياً لدى الدولة ، مهمتها حفظ حقوق النصارى وطباعة المنشورات النصرانية ، منها :

1/ كيتهولك ريليف سروسز

2/ دي باكستان كيتهولك فيدريشن

3/ ليتل براذر جيسس

4/ داترسآف دي هارت آف ميري

5/ فرانسيس كن مشنريز آف ميري

6/ سوسائتي آف كيتهولك ميديكل مشنريز فلادلفيا

7/ ليتل سسترس آف جيسس

كما أن للتنصير مجلات أسبوعية ، ومجلات تصدر كل أسبوعين ، ومجلات شهرية ، ومجلات تصدر كل شهرين ، ومجلات تصدر كل ثلاثة أشهر ، يتجاوز عدد هذه المجلات عن إحدى وعشرين مجلة من أشهرها :

1/ كرسجن وائس (صوت النصارى) الأسبوعية التي تصدر من كراتشي

2/ شعاع نور التي تصدر من لاهور كل أسبوعين .

3/ أخوت (الأخوة) الشهرية التي تصدر من لاهور .

4/ بشير النسوان (بشير النساء) الشهرية التي تصدر من راولبندي

5/ صحت (الصحة) الشهرية التي تصدر من لاهور .

6/ طلوع فكر الشهرية وتصدر بلغتين الأردية والبشتو من مدينة بشاور .

7/ مستقبل هيلته (صحة المستقبل) الشهرية التي تصدر من لاهور باللغة الإنجليزية .

أضف إلى ذلك أن مراكز التنصير مجهزة لتزويد كتب التنصير لمن يطلبها وإرسالها إلى عنوانه البريدي مجاناً إن طلب ذلك ، والأغرب من ذلك أن مثل هذه المراكز تستقي عناوين أهل العلم وترسل مثل هذه الكتب إلى عناوين بيوتهم دون طلب ، وإني أحد هؤلاء :

فقبل ست سنوات وصلت إلى بيتي في مدينة لاهور قادماً من المملكة العربية السعودية في الثامنة ليلاً، وما أن حلت الثامنة صباحا في اليوم التالي حتى رأيت سيارة البريد تطالبني شخصياً بتسلم ستة طرود مطبوعة ، أقلها وزناً 12

كيلو غرام ، فاستلمتها فإذا هي كلها كتب التنصير ، بلغ تعدادها ما يزيد على مائتي مطبوعة ، فلا أدري كيف حصلوا على تاريخ قدومي ، ووقت وجودي داخل البيت ؟

ثالثاً : عرض الأفلام الداعية إلى التنصير:

تتبنى العديد من المؤسسات التنصيرية عرض أفلام تحمل قصصاً لأفراد أصيبوا بآلام الشقاء في هذه الحياة ، فيأخذهم القسيس في الفلم إلى رحاب الكنيسة ويشرح لهم تعاليمها فيجدون الراحة على حد قول العرض ، ثم تسمع صرخات تطالب الجمهور باعتناق النصرانية للخروج من المآزق النفسية وجلب الطمأنينة إلى الأجساد المنكوبة بالشقاء والتعاسة.

رابعاً : استغلال ظروف الفقر المادية:

شعب باكستان يعد من الشعوب غير الغنية ، لذا استغله المنصرون ولاسيما الطبقات المسحوقة منه ، فيركز عليهم القساوسة ويستغلون ظروفهم الفقرية ويمدون إليهم يد العون ، ويحوطون أمثال هذه العائلات بالمساعدات المادية .

وتزداد مثل هذه الفرص عدداً في نوائب الدهر كالزلازل والفيضانات ، فينشط التنصير باسم تقديم المساعدات للمنكوبين ، وترحب بذلك دولة باكستان دون رقابة أو تمييز ، ففي زلزال عام **2007**م الذي ضرب مناطق باكستان الشمالية بقوة **7,4** على مقياس ريختر – لا يستطيع إنسان الوقوف على قدميه لشدته – بلغ عدد المنظمات التي قدمت من الغرب باسم الغوث وإعانة المنكوبين **48** منظمة ، أقاموا المخيمات للاجئين وأحاطوهم برعاية القسس ودعوة الإنجيل .

وأما الفيضانات التي ضربت باكستان عام **2010**م وعام **2011** م فحدث عن البعثات التنصيرية باسم رعاية المنكوبين ولا حرج ، في منطقة جنوب البنجاب ، ومنطقة السند ، وقد تجاوز عددها عن**150** منظمة ، وزرت شخصياً بعض مخيمات هذه المنظمات في منطقة جنوب البنجاب الملاصقة لمنطقة السند لأني كنت في إجازة الصيف وإني أحد سكان هذه المنطقة ، فشاهدت ما يلي :

1/ لا تقدم مساعدة غذائية إلا بعد الاستماع إلى محاضرة القسيس المسحوبة بتسلم نسخة من الإنجيل المترجم إلى اللغة الأردية .

2/ لا تأوي المخيمات المنكوبين رجالاً ونساءً إلا إذا تعهدوا خطياً بالاستماع إلى محاضرة القسيس مرتين في اليوم ، ومن أخل بهذا العهد دون عذرٍ قاهرٍ يطرد من المخيم .

3/ كان نشاط القسيسات في هذه المخيمات أقل من القساوسة ، ولم يكن النشاط التنصيري يرقى إلى الحد الذي ترضى عنه المنظمة التي أقامت المخيم .

خامساً : إقامة دور الأيتام ورعايتهم:

لا تخلو مدينة من مدن باكستان من وجود دار تتبناه النصرانية لرعاية الأيتام ، ويعود تاريخ مثل هذه الدور إلى عهد الاستعمار البريطاني ، وكان المفروض أن تعود ملكية مثل هذه الدور إلى المنظمات الخيرية الإسلامية بعد الاستقلال ، إلا أن دستور باكستان ضمن لأمثال هؤلاء ممتلكاتهم ، ولم يمنعهم من النشاطات التي كانوا يمارسونها قبل الاستقلال

فجل الأطفال من أيتام المسلمين يؤخذون إلى هذه الدور فتتبنى الكنيسة تربيتهم على التنصير ، وتغرس فيهم روح العداء للإسلام والمسلمين الذين تخلوا عنهم في الظروف القاسية ، وأغلب القساوسة المحليين ممن تربى في هذه الدور .

سادساً : إقامة المستشفيات الراقية وبأسعار مخفضة:

هذه الوسيلة التنصيرية من أنجح الوسائل المؤثرة في قلوب عامة المسلمين ، لسلب عقيدة الولاء والبراء من قلوبهم، فلا تخلو المدن الصغيرة من مثل هذه المستشفيات فضلاً عن المدن الكبيرة ، فمدينة جام بور في جنوب منطقة البنجاب التي لا يتجاوز عدد سكانها عشرين ألف نسمة يوجد فيها مستشفى تنصيري ، يعود إنشاؤه إلى ما قبل عشرين عاما .

سابعاً : إقامة الكليات التعليمية:

عند النظر إلى مراكز التعليم في باكستان يمكنك تقسيمها إلى قسمين :

1/ مراكز تعليمٍ دينية لا تتبع الدولة ، ولها استقلالها الذاتي في اختيار المناهج ومنح الدرجات العلمية .

2/ مراكز تعليم غير دينية تديرها :

أ/ الدولة

ب/ مراكز التعليم التنصيرية ، والأخيرة هذه هي التي يلتحق بها أبناء القادة السياسيين ، فما من قائد سياسيٍ إلا وتجده قد تخرج في إحدى هذه المراكز العلمية ، ومدينة لاهور العلمية ثاني أكبر مدن باكستان تضم أكبر عددٍ من هذه المراكز، ومن أشهرها (إيجي سن) على شارع مال رود ومنها ايف سي كالج الواقعة على تقاطع شارع نهر لاهور مع شارع فيروز بور .

ويقدم حافظ شفيق الرحمن صورة موجزة مركزة لمثل هذه الإدارات العلمية فيقول : (الإدارات العلمية التي تتبع المنظمات التنصيرية تدور كل جوانب التعليم فيها حول المسيحية ، وبناءً على اللائحة الموحدة لمثل هذه الإدارات لا تجد بناية من بناياتها في مظهرها الخارجي والداخلي إلا شبيهاً بالبنايات المسيحية .

فسكن الطلاب يتم تصميمه شبيهاً بمساكن الرهبان ودَيْر القسس ، ولا يسمح للطلاب بالمجيء إلى المطعم إلا بعد ارتداء الجلباب الشبيه بجلباب القسيس ، بغض النظر عن ديانات الطلاب والطالبات ، ويجب أن تكون البنايات في محيط الإدارة العلمية مماثلة في أعمدتها وسقوفها وشبابيكها وأبوابها وجدرها بالحياة المسيحية ، تعكس مناظر سكن الرهبان والراهبات) ([69])

المبحث الرابع : موضوعات التنصير:

عند النظر في الموضوعات التي طرقها دعاة التنصير يمكن تقسيمها إلى قسمين :

1/ نقض الموجود القائم من أحكام الإسلام ، الإعتقادية والتشريعية والأخلاقية في المجتمع المسلم .

2/ إثبات الوافد الدخيل وما يحمله المنصرون ، وأنها الدين الحق .

وكل قسم من القسمين محتاج إلى مجلدات ، لأنه يحوي فترة زمنية لا تقل عن ثلاثمائة سنة ، وأفراداً بأفكار يتجاوز عددهم بضعة آلاف على أقل تقدير ، ولكني سأكتفي على حد المثل (ما لا يدرك كله لا يترك كله) لذا سأذكر أبرز ما في القسمين ، دون نقد ، لأني سأذكرالنقد في مبحث : مقاومة التنصير ، وأرجو أن يكون عملي في هذا المبحث فاتحة باب علميٍ لمن يريد ولوجه .

القسم الأول : نقض أحكام الإسلام:

1/ ألف القسيس c.g فندر كتابه (ميزان الحق) ، وخص منه 210 صفحة في ثمانية فصول لنقد القرآن الكريم ، وتكذيب رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، لأنهما الأساس في الأحكام الإسلامية .

والنظر في عناوين الفصول تخبرك عن الدفين المطمور (أسباب التأليف لهذا الكتاب ، هل في الأناجيل بشارات عن محمد ، هل القرآن بلغته وتعليماته يصل إلى درجة أنه كلام الله ، هل القرآن يصل إلى درجة الإلهام الإلهي ، هل المعجزات المذكورة في القرآن تؤيد دعوى الرسالة المحمدية ، هل الأقوال المحمدية المذكورة في القرآن والتي يتعامل بها المسلمون تصل إلى درجة الإلهام الإلهي ، لماذا انتشر الإسلام في جزيرة العرب دون بقية الأمم المتحضرة) ([70])

2/ يتهم القسيس المحلي عماد الدين لاهز قصص القرآن المنزلة على محمدٍ صلى الله عليه وسلم بأنها أساطير الأولين ، لا ترقى إلى الصدق ، وينصح المسلمين بأخذها من مصدر موثوق فيقول : (من أراد التحقق من صحة هذه القصص فليعد بها إلى الكتاب المقدس ، ويقرنها بقصص محمدٍ ، ولينبذ ما لا يتفق مع الكتاب المقدس ، ويُرَتِّبها في ذهنه كما ذُكِرت في هذا المصدر الإلهامي ، ليصفو الحق ويبطل الباطل) ([71])

3/ ويتهم لاهز محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه (أول من شرع نكاح المتعة ، وأنه أول من منع عنه ، فابتداء نكاح المتعة والنهي عنه مرتبطان به) ([72])

4/ وينتقد لاهز الأحاديث النبوية لتأخر تدوينها قرنين من الزمان ، وإن رواتها من زوجات محمدٍ وأقربائه ، وإنها ليست موضع اتفاق لدى جميع الفرق المسلمة ، وجلها تخالف القرآن لذا فقدت مصداقية القبول فلا مكان لها في الدين ([73])

5/ يقدح لاهز في نسب خاتم المرسلين فيقول : (يرى المسلمون أن محمداً من أولاد إسماعيل ، إلا أنهم لا يملكون دليلاً على ذلك فالنسب الصحيح لنبيهم لا وجود له ، لا في الأحاديث ولا في القرآن) ([74])

6/ يرى لاهز أن محمداً وخلفاءه الأربعة وملوكه المسلمين عرباً وعجماً أكرهوا الناس على اعتناق الإسلام تحت وطأة السيف وسنان الرماح ([75]) وأن محمداً (حين ألجأته الظروف إلى طلب المساعدة ظَهَرَ له أن يكتب كتباً إلى الملوك المجاورين له ، فكتب إليهم يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام)([76])

7/ يجزم القسيس صفدر علي أن محمداً كاذبٌ في رسالته ، فليس رسولاً من عند الله ([77])

8/ ويخصص القسيس جيمس منرو كتابه (عدم عصمة محمد) لسلب العصمة من محمد صلى الله عليه وسلم في حال النبوة وما سواه ، ويرى أن القرآن لا يجزم بعدم ارتكابه للمعاصي ، بل إنه ارتكب الكبائر والصغائر ، فهو كسائر الناس لا عصمة له ، بينما العقيدة المسيحية تجزم (بأن الأنبياء بعد نيل النبوة لا يرتكبون كبيرة ولا صغيرة ، بل إنهم معصومون منهما البتة) ([78])

ويؤيده في ذلك القسيس G. L تهاكر داس في كتابه (ذنوب محمدية) فيرى أن محمداً تناسل من سلالة العصاة([79]) وأن طلبه للمغفرة دليل على أنه من العصاة المذنبين (لأنه أخبر عن نفسه بأنه ضال ومذنب ، ومتى تذكر حالته هذه في لحظة من لحظات الحياة لم يجد لنفسه مكاناً آمناً سوى الاستغفار) ([80])

9/ خصص القسيس E سيل كتابه (غزوة بدر وأحد) لنقد الجهاد وأهدافه السامية ، فيرى (أن أتباع هذا الدين الجديد – دين محمد – أقاموا الحروب من أجل الحصول على الرزق ، وأظهروا قوتهم في التسلط على الأمم وعدم الخضوع لأحد) ([81])

وأن الغزوات والسرايا التي وُجدت أيام محمد (أدخلت إلى دماء القتلة روح الانتقام وإراقة الدماء واستحلال الأموال والفروج) ([82]) ويرى أن سبب غزوة بدرٍ هو(أن محمدا علم بأن قافلة تجارية ثرية تتجه من سوريا إلى مكة ، فطمع في الاستيلاء عليها ، ونهب ما فيها) ([83]) وينكر أن قريشاً قد أجمعت أمرها على محاربة محمد بعد هجرته من مكة إلى المدينة ، وإنه لا دليل على ذلك ([84]) وإن مقاتلي محمد لم يكونوا سوى قطاع طرق ([85]) وأن غزوة بدر وأُحُد كان البادئ فيهما بالحرب هم المسلمون ، وأن أهل مكة ما بدأوهم بالقتال ([86])

10/ وينقد صاحب (قِران السعدين) تحدي القرآن بالإتيان بمثله ، ويرى أن ذلك لا يقود إلى إثبات إعجاز القرآن ، فلا يُعَد القرآن معجزة لمحمد من هذا المنطلق ، بل إن البشر أتوا بما يفوق القرآن ، وإن قصيدة غلام أحمد القادياني باللغة العربية أبلغ من القرآن (فإن كان القرآن يقدم صحة نسبته إلى الله في صورة تحد – فأتوا بسورة من مثله – فإن رسول قادیان أتى بأعظم من ذلك ، فإن كان القرآن معجزة فإن القصيدة الإعجازية أعظم منها) ([87])

11/ يرى القسيس W سينت في كتابه(ينابيع الإسلام) أن كثيرا من معتقدات القرآن أخذها محمد من ديانات العرب الجاهليين كالطواف والإحرام والإهلال والاختتان ([88]) وأن جل الأحكام العملية في هذا الكتاب أُخِذت من تعليمات اليهود وأحاديثهم التفسيرية ([89]) كما أن من التعاليم ما هو مأخوذ من روايات النصارى وأحاديثهم ([90]) وأعظم ذلك ما نقلته زوج محمد من قريبها ورقة بن نوفل فكل ذلك وصل إليه دون عناء ([91]) وأما وصايا إبراهيم فقد أخذت من كتاب قبطي تُرجم إلى اليونانية والعربية وأدخلها المسيحيون في دينهم قبل محمدٍ بأربع مائة سنة ثم نقلها محمد إلى قرآنه([92]) أضف إلى ذلك أن كثيراً من أحكام القرآن أخذها محمد من كتب الزرادشتيين ورواياتهم القصصية ([93])

وأما زيد بن عمرو وما كان يدين به فذو تأثير واضح في دين محمد لكل ذي عينين (فكل من يملك عِلْماً عن القرآن والحديث لا يخفى عليه تأثير تعليمات زيد بن عمرو في تعلم محمد منه ، لأن ما نقرأه من معتقدات زيد نجدها بعينها في دين محمد كحرمة وأد البنات ، وإزالة الأصنام ، والإقرار بوحدانية الله ، والتبشير بالجنة ، والتخويف من النار، وأن الله غفور رحيم) ([94])

12/ نظر القسيس المحلي بركت الله في موضوعات القرآن فوجد بعضها مذكورة في الكتاب المقدس ، فجزم بأن مصادر القرآن تعود إلى ذلك الكتاب ، وقاده ذلك إلى أن القرآن ليس كلاماً إلهيا ([95]) وأن بعض معتقدات الإسلام المذكورة في القرآن والسنة ترى الشرك فيها واضحاً ، وتعود في مصدريتها إلى معتقدات الفرق النصرانية ([96]) واليهودية واليونانية والزرادشتية ، والعرب الجاهليين . فمن ذلك معتقد تأثير السحر ونزول المعوذتين ([97]) والرقى الشرعية ([98]) وأن بيت الله شبيه ب (المَنْدَر) معبد الهندوس ([99]) وأن الأحكام المتصلة بالحج والأضاحي جزء من شرك العرب([100]) وأن مصطلح (المسجد) ومصطلح (الله) منقول من معتقداتهم ([101])

13/ ينكر القسيس W كولد سيك وجود بشارات في الإنجيل تخبر بقدوم رسول بعد عيسى ، ويصل إلى نتيجة مفادها (خصصت كتابي هذا لدراسة البشارات التي يقدمها المسلمون تأييداً لرسالة محمد . فلم أجد بشارة صادقة

تخبر بمجيء نبي بعد اليسوع المسيح ... وإن محمداً كتب في القرآن عن نفسه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)([102])

14/ خصص القسيس بركت الله كتابه (توراتِ موسوي أور محمد عربي) توراة موسى ومحمد العربي للرد على المعتقد الإسلامي أن الله عهد إلى إسماعيل بالنبوة ، و أن نبيا سيأتي من نسله بعد وفاته .([103])

15/ يرى القسيس بركة الله في كتابه (محمد عربي) أن الوضع في الحديث باب واسع ، دخله آلاف الأفراد ، ووضعوا مئات الألوف من الأحاديث (وإن كتاب البخاري ذات أربعة آلاف حديث لم يسلم من هذا الوضع ، فلو غربلناه لن يصفو للمسلمين إلا نصفه ... لأن الرواة لم يلتفتوا إلى سبب ورود الحديث، وهل المروي يطابق المشاهد المحسوس) ([104])

ويرى القسيس أن (كره محمد لعبادة الأصنام يعود تاريخه إلى لقائه ببحيرة الراهب ، فمنذ ذلك اللقاء انبثق عنده التوحيد وعبادة الواحد الأحد) ([105])

16/ ويتهم القسيس المحلي أحمد شاه في كتابه (أمهات المؤمنين) سيد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم بالسعار الجنسي وإنه ظئر النساء ، ويشبهه بمجنون ليلى فيما يخص نكاحه بزينب (من أجل الستر يحتال المسلمون فلا يصفون محمدا بمجنون ليلى ، بينما المعانقات والغمز واللمز يستتر فيه ، وإنا نقول صراحة سكنت زينبُ قلبَه ، فغمز جفنه ، وفهمت زينب وزيد ذلك) ([106])

وينسب إلى أبي بكر أمنية فيقول : (كان يتمنى خلاص ابنته الصغيرة في السن من ذلك العجوز، والفكاك من قبضته الحديدية) ([107])

17/ حاول القسيس وكلف A سنكه تأويل بشارة فارقليط – كلمة يونانية تعني كثير المحامد فهي إشارة واضحة إلى اسمه أحمد عليه السلام – لتنصرف إلى عيسى ابن مريم ، ولا تتجه إلى محمد صلى الله عليه وسلم حتى يستطيع إنكار رسالته عليه السلام ، وأن الكتب السابقة لم تبشر به ([108])

القسم الثاني : إثبات الدخيل بأنه الحق المحض:

ولإثبات صحة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بذل دعاة التنصير جهوداً مضنية لاكتساء معتقداتهما ثوب الصحة واليقين ونزع الشك والتخمين ، وإنهما لا يحملان إلا الخير للبشرية جمعاء فمن هذه الجهود :

1/ كتاب (ميزان الحق) لفندر ، وإلقاء نظرة سطحية على فهرسه ينبئك عن الدفين المستور ، فأكثر من ثلثي الكتاب خصه لأمرين :

أ/ هل التوراة و الزبور والإنجيل الموجودة بين أيدينا محرفة أو منسوخة ؟ هل ينحصر معيار مفهوم الإلهام الإلهي في العهد القديم والجديد فقط دون ما سواه .

ب/ هل القرآن كلام الله ، ومحمدٌ رسول مرسل من عند الله ؟ .

ولإثبات صحة العهدين يعيد فندر معتقد النصارى في الوحي الإلهي ويشكك في صحة القرآن الكريم فيقول : (لو فرضنا أن كتابا مقدسا أُلف في السماء ، ثم أُرسل إلى بني آدم لكان التثبت من صحة ذلك محالا، إلا أننا نحن المسيحيون نؤمن أن الله جل وعلا لكتابة إلهامه لهداية البشر لم يستعمل أيادي الأنبياء فقط ، بل استعمل عقولهم وضمائرهم وأرواحهم ، ومن هذا الطريق الموثوق وصل مفهوم الرسالة الإلهية ، بينما ألفاظها لكاتبيها) ([109])

2/ يحصر القسيس عماد الدين لاهز باب التوبة في دم المسيح عيسى ابن مريم ، وإنه لا وجود لشيء يمحو الذنوب سواه فيقول : (حين نظرنا إلى سبل العفو عن طريق تِرْدَادِ الجمل وقراءة العبارات ، وتغيير الهيئة البشرية كالرياضات الجسدية أو تغيير كيفية التفكير كالإنفاق من المال أو الإتصال بشخص معين لم نجد شيئاً يقود إلى ذلك ، بل إن هذه البركة لا ينالها الإنسان إلا عن طريق دم المسيح ، ولا يتحقق له مقصود العفو إلا في الاتصال بهذا الدم المبارك ، لا الأذكار ولا المجاهدات الشاقة) ([110])

3/ يستدل صَفْدَر عَلِي عُلَى صحة محتويات الكتاب المقدس بأن القرآن والحديث يجزمان بصحته [111] وأن وجوده أيام محمدٍ في مكة والمدينة وسائر مدن الجزيرة كافٍ على صحة ما يشتمل عليه بين الدفتين[112] وإنه غير منسوخ([113]) وإن اختلاف القراءات لنصوص القرآن ، واختلاف متون الحديث دليل على دخول التحريف إليهما من جهة ، وصحة نصوص الكتاب المقدس من جهة أخرى لخلوها من وجوه القراءات المتعددة ([114])

4/ يرى القسيس G.L تهاكر داس هندوسي الأصل بأن الآب قال عن اليسوع المسيح بأنه ابنه الطاهر الحبيب ، وإن اليسوع قال لنا (إن ابن آدم أُعْطِي حق غفران الذنوب للمذنبين)([115])

5/ يرى مدير التحرير لمجلة (نور افشان) في كتابه (تحقيق الإسلام) ذات المجلدات الثلاثة أن محمداً أضاع ثلاثاً وعشرين ربيعاً في استخلاص العبر الدينية وإن (آخر رسل الله وخاتمهم هو اليسوع المسيح، وبه تمت سلسلة الرسالات الإلهية) ([116])

6/ يرى القسيس المحلي سلطان محمد بال خان بأن التوراة والإنجيل لم تمسهما يد التحريف ، وينفي أن يكون القرآن قد ذكر شيئاً من ذلك ، ويستدل على صحتهما بأن هذه الكتب كانت موجودة أيام محمدٍ صلى الله عليه وسلم.([117]) وإن محمداً قبل الإنجيل المتداول في زمنه ([118]) كما استدل بأن البهائيين يكذبون كل من يرمي الكتاب المقدس بالتحريف ([119])

7/ يرى القسيس G.L تهاكر داس أن الأوصاف التي يجب توفرها في المنجي والهادي لا تتوفر إلا في الرب اليسوع المسيح ([120]) وأجرى مقارنة بين المسيح عيسى ومحمدٍ صلى الله عليه وسلم فجعل ذات عيسى مبرأة من المعصية بينما ذات محمدٍ منغمصة فيها ، وإن عيسى لم يرتكب معصية قط بينما محمدٌ كان مجسماً للمعصية . ([121]) وأن اليسوع زهد في الدنيا ومتاعها بينما محمدٌ لبس مسوح الدين ليستولي على مقاليد الأمور في الحياة العاجلة .([122])

8/ تحشر مؤسسة بنجاب ريليجنس بك سوسائتي الأمور الخارقة وغير الخارقة للعادة ضمن قائمة معجزات المسيح ، وكلما كثرت هذه المعجزات في نظرها كانت النبوة أمتن وأقوى،وإن محمداً لا معجزة له، ومن ثَم تنكر رسالته [123]

9/ يحصر كتاب (منار الحق) النبوة والإلهام في بني إسرائيل،وأن المدعي من غيرهم كاذبون على الله ([124]) وأن ذرية إسماعيل لا حظ لهم من الكتاب والنبوة ([125]) وأن الآيات القرآنية توحي إلى ربوبية المسيح وألوهيته([126]) وأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لم تمسه يدالتحريف على الإطلاق [127] وإن الذبيح هو إسحاق بن إبراهيم لا إسماعيل بن إبراهيم ([128]) وإن مكان الذبح هو القدس لا مكة([129])

المبحث الخامس : وسائل مقاومة التنصير:

سلك علماء الإسلام طريقين لمقاومة التنصير لتأمين عقيدة المسلمين ، والحفاظ على ما ورثوه من علوم النبوة لأن كلاً منهم شعر بأنه على ثغر من ثغور الإسلام فبذل قصارى جهده ألا يؤتى الإسلام من قبله .

1 / الرد الكتابي بتأليف الكتب المستقلة ، وإصدار المجلات المتخصصة في الرد على تهَم المنصرين ، والهجوم على معتقدات النصارى المحرفة .

والهندوس 2/ المناظرات الكلامية مع المنصرين في الساحات العامة ، يدعى إليها الجمهور من المسلمين والنصارى، والمناظرات الكتابية تتردد مدتها بين القصيرة والطويلة.

ولاستقصاء الروافد الأربعة – كتب ، مجلات ، مناظرات كلامية ، مناظرات كتابية – يحتاج المرء إلى عقود متعددة من العمر ، لأن بعض هذه الروافد يتجاوز عددها مئات الآلاف من الصفحات ، لذا سأكتفي بذكر أشهرها كنماذج لفتح الباب أمام الباحثين ، وتقديم العون إلى دعاة الإسلام الذين يواجهون دعاة التنصير في شتى أرجاء العالم اليوم .

القسم الأول : تأليف الكتب:

يجمع علماء الإسلام جميعاً أن أعظم كتاب في الرد على النصرانية وإثبات حقائق الدين الإسلامي في الآونة الأخيرة هو كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمت الله كيرانوي الهندي،فقد ألفه باللغة العربية بإيحاء من خليفة المسلمين عبد العزيز خان العثماني ورئيس وزرائه خير الدين باشا ، وشرع في كتابته يوم 16 رجب 1280هـ وانتهى منه في نهاية ذي الحجة 1280هـ في القسطنطينية،واشتهر تأليفه هذا آنذاك بين الناس باسم (تأييد الحق برحمة الله) ([130])

وسرعان ما ترجم إلى لغات العالم الحية ، فترجم إلى اللغة التركية باسم (إبراز الحق) ، وترجمه الشيخ غلام محمد إلى اللغة الكجراتية والإنجليزية باسمه الحقيقي الذي سماه به مؤلفه (إظهار الحق) ، وكلا الترجمتين مطبوعتان ، وشاهدتهما في مكتبة المحامي العالمي خالد إسحاق في مدينة كراجي بباكستان عام 1990 م .

وإلقاء نظرة على مقدمة الكتاب وأبوابه وفصوله يعطيك صورة واسعة للجهد الذي بذله المؤلف ، واستيعابه للجزئيات المضمرة داخل الكتاب المقدس ، ففي بداية الكتاب مقدمة طويلة فَنَّد فيها الشيخ مزاعم القسيس الدكتور فندر في كتبه (ميزان الحق) و (حل الإشكال) و (مفتاح الأسرار) ، وتبلغ المقدمة بضعاً وخمسين صفحة ، بَيَّن فيها الشيخ المخابئ والمطبات التي يسلكها دعاة التنصير ، وقد عانى منها هو شخصياً ، فمن ذلك أنك تجد الكتاب في طبعته الثانية يختلف عن طبعته الأولى نقصاً وتبديلاً ، فحين تقع المواجهة ينكر القسيس وجود النصوص التي انتقدها الناقد ، ويقدم النسخة الجديدة فلا يجد الناقد فيها شيئاً .

أما عناوين فهرس الكتاب بجزئيه فهو مفتاح متقنٌ لكل ما يثيره المنصرون من شبهات ، وتسليح تامٌ للداعية المسلم دفاعاً وهجوماً .

ففي الباب الأول عرضٌ تاريخي لأطوار كل الكتب الموجودة في الكتاب المقدس ، وما قاله علماء اليهود والنصارى في كل كتاب ، من حيث الصحة والقبول أو الشك والرفض فكل ذلك نخله الشيخ نخلاً لا مجال للزيادة عليه في نظري.

وخص الباب الثاني بإثبات التحريف في الكتاب المقدس بعهديه وعَنْوَن له بالمقاصد ، فجاء المقصد الأول في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل ، وأردفه بالمقصد الثاني بإثبات التحريف اللفظي بالزيادة ، وكانت خاتمة مقاصد التحريف في إثبات التحريف اللفظي بالنقصان .

وجاء الباب الثالث في إثبات النسخ ، وإنه موجود في العهد القديم والجديد في الأحكام العملية والعقيدية والأخلاق والمعاملات .

وخص الباب الرابع بإبطال التثليث . فجاء فصله الأول في إبطال التثليث بالبراهين العقلية ، وأعقبه في الفصل الثاني بإبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام ، وجاء الفصل الثالث في إبطال الأدلة النقلية على ألوهية المسيح .

وجاء الباب الخامس في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ودَفْع الشبهات التي يثيرها القساوسة ، فكان فصله الأول في الأمور التي تدل على أن القرآن كلام الله ، وخص الفصل الثاني بدفع شبهات القسيسين على القرآن الكريم ، وجاء الفصل الثالث في إثبات صحة الأحاديث النبوية ، وكان ختام فصول هذا الباب في دفع شبهات القساوسة على الأحاديث النبوية .

وختام أبواب الكتاب جاء في إثبات نبوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ودفع مطاعن القسيسين ، وحوى فصله الأول إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء الفصل الثاني في دفع المطاعن عنها .

فالكتاب معجمٌ علميّ مفصل ، قلما ترك شيئاً يحتاج إليه عالم مسلم في مناقشة المنصرين ، والشُبَه التي يثيرونها على نبي الإسلام ومصادره من الكتاب والسنة .

2/ ألف الشيخ رحمة الله كتابه (إزالة الشكوك) للإجابة على تسعة وثلاثين سؤالاً طرحها المنصرون في الساحة الإسلامية ، ويمتاز كتابه هذا بعمق البحث في جانبين : التحريف في الكتاب المقدس ، وإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .([131])

3/ ألف الشيخ رحمة الله كتابه (إزالة الأوهام) باللغة الفارسية ، إذ كانت لغة العلم في عصره ، رداً على شبهات فندر التي أثارها في كتابه (ميزان الحق) باللغة الفارسية ويظهر فيه التركيز على أمرين بوضوح : بشارات محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس ، ونقض التثليث . ([132])

4/ ألف الشيخ سيد آل حسن مهاني (كتاب الاستفسار) ، والناظر في محتوياته لا يخفى عليه تركيزه على تحقيق مطلبين :

أ/ الرد على الشبهات التي أثارها القساوسة في المجتمع المسلم ، لاسيما فيما يختص بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجهاد الإسلامي ، وبشرية القرآن الكريم .([133])

ب/ الهجوم على المعتقدات النصرانية الوثنية ، فقد اشتمل كتابه —كما هو واضح من اسمه — على ثمانية عشر هجوما باسم الاستفسار على تلك المعتقدات غير المرضية عند الله عز وجل . ([134])

5/ ألف الشيخ جراغ علي كتابه (تحقيق الجهاد) باللغة الإنجليزية في الرد على الشبهات التي بثها المنصرون بين المسلمين في هذا المبدأ الإسلامي: من كونه للاستيلاء على الأموال والممتلكات وهتك الأعراض ، وآثر الشيخ جانب السلامة ، فجعل غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه دفاعية لا هجومية ،([135]) بينما الصحيح في ذلك أن منها ما هي دفاعية ومنها ما هي هجومية ، ومنهما يتكون مفهوم الجهاد في الإسلام .

6/ ألف الشيخ سيد أحمد خان كتابه (خطبات الأحمدية على الغرب والسيرة المحمدية) في مجلدين ردا على افتراءات القسيس وِلْيَمْ مِيْوَر على مصادر الإسلام ونبي الإسلام ([136])

7/ ألف الشاعر المسلم الشيخ ألطاف حسين حالي كتابه (ترياق مسموم)– الترياق المسموم – في الرد على كتاب القسيس المحلي عماد الدين (تحقيق الإيمان) ([137])

8/ ألف الشيخ محمد علي كانبوري كتابه (دفع التلبيسات) في مجلدين رداً على كتابي القسيس عماد الدين (تقليعات التعليقات) و (تواريخ محمدي) ، وميزة هذا الكتاب أنه أثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق النظر في أحواله الشخصية ، وعن طريق النظر في تعليماته ، وعن طريق النظر في معجزاته .([138])

9/ ألف الشيخ عنايت رسول عباسي جريا كوتي كتابه (بشرى) وأمضى في تأليفه عقدين من عمره([139]) ، وتعلم اللغة العبرية لهذا الغرض فكان يجيدها كإجادة علمائها ، لذا نجد نصوصاً عبرية في كتابه قام هو بترجمتها ، فجمع الشيخ في كتابه هذا كل البشارات التي وردت في الكتاب المقدس وغيره من الكتب التي لا يعترف بها اليهود والنصارى لأنها تخالف ما يدينون به ([140])

10/ ألف الشيخ حافظ ولي الله كتابه (صيانة الإنسان في رد تحقيق الإيمان تفنيداً لشبهات أثارها القسيس عماد الدين في الطبعة الثانية لكتابه تحقيق الإيمان) وتجد التركيز فيه على دخول التحريف في الكتاب المقدس بعهديه – القديم والجديد – ([141])

11/ ألف الشيخ ملك أبو المحمود هدايت الله كتابه (إسلام أور عيسائيت) – الإسلام والمسيحية – في الرد على القسيس كولد سيكه ، في كتبه (إسلام أور مسيح) – الإسلام والمسيح – و (إسلام مين قرآن) – الإسلام والقرآن – و (أحاديث أهل إسلام) – مكانة الحديث الشريف عند المسلمين – ، وميزة هذا الكتاب في بابه العاشر الذي خصه المؤلف لإثبات الحديث الشريف وإنه حجة في الإسلام ، وقارنه بأقوال الأنبياء السابقين في باب الحجية وأخذ الأحكام الشرعية ، بضرب الأمثلة الموسعة من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .([142])

وأما بابه الحادي عشر فقد خصه بأن القرآن معجزة الله لرسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، في البيان والفصاحة والقصص وأخبار الغيب و تشريع القواعد العامة ، التي أصلحت حياة البشر أيام محمد بن عبد الله عليه السلام ، وإنها قادرة على إصلاح حياتهم اليوم ، وستظل قادرة على الإصلاح إلى يوم القيامة .([143])

12/ ألف الشيخ بشير أحمد حسيني كتابه (محمديم كون هي) – من هو محمد – فجمع الأدلة المثبتة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشدد الخناق على من ينكر التحريف في الكتاب المقدس ، فجمع أقوال المؤلفين من اليهود والنصارى الذين يعترفون بوجود التحريف في الكتاب المقدس من المصادر المتوفرة بين أيدي الناس اليوم .([144])

كما ألف الشيخ كتابه الثاني (فارقليط كون هي) – من هو فارقليط – رداً على القسيس وِكْلِف في كتابه (فارقليط) وجمع فيه أقوال المسلمين وغير المسلمين ممن جزم بأن المقصود هو محمد بن عبد الله عليه السلام لأن الأوصاف المذكورة في النصوص لا تنطبق إلا عليه .([145])

13/ ألف الشيخ عبد الله روبري كتابه (نبي معصوم) في الرد على كتاب (عدم معصوميت محمد) الذي اشترك في تأليفه أكثر من ستة قساوسة لنزع العصمة من سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وحصر الشفاعة الكبرى في عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . ([146])

14/ ألف الشيخ إبراهيم سيالكوتي كتابين في العصمة (عصمت أنبياء) و (عصمت نبوت)في الرد على الشبهات التي أثارها القساوسة وعلى رأسهم القسيس جيمس مِنْرُو في عصمة الأنبياء عموما وعصمة محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً من صغائر الذنوب وكبائرها ،([147]) كما فَنَّدَ الروايات الواردة في قصة الغرانيق ، وأظهر بطلانها .([148])

هذا غيض من فيض من جهود العلماء التي ردوا بها شبهات المنصرين ، وأَمَّنُوا سَلامَةَ الطريق للمسلمين في معتقداتهم وتشريعاتهم العملية ، وما زالت الشبهات ترد يوماً بعد آخر وإن علماء الإسلام على أتم الاستعداد لمناقشتها، وجهودهم هذه جزء من كفالة الله لكتابه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ([149])

القسم الثاني : إصدار المجلات:

ساهم كثير من أثرياء المسلمين في إصدار مجلات اختصت بالرد على دعاة التنصير، وكثير منها كانت وسيلة من وسائل النشر للعلماء الذين لا يملكون الوسائل المادية لنشر ردودهم في صورة كتبٍ علمية ([150]) ، ومنها ما اختصت بتوعية المسلمات الغافلات اللائي يُستغللن من قبل المنصرات .

وحصر ما نشر في هذه المجلات أمر غير مستطاع ، لأن من المجلات ما كانت تصدر ثلاث مرات في الشهر بصفحات تتجاوز المائة في كل عدد ، لذا سأكتفي بذكر أبرزها وما امتازت به في الرد على جانب من جوانب التنصير.

1/ مجلة منشور محمدي:

وأصدرها الشيخ شريف من مدينة بنكلور الهندية،وكانت تصدر كل عشرة أيام، وتتم طباعتها في مطبعة الإسلام التي يملكها الشيخ نفسه،وصدرعددهاالأول عام 1871م،وتوقفت عن الصدور 1884م،وكانت تزين غرتها بجملة (مجلة منشور محمدي تصدر للرد على المذهب النصراني)([151])

وكان دعاة التنصير يهابون صدورها ، لكثرة علماء المسلمين الذين يكتبون فيها ، وامتثال عامة المسلمين لتوجيهاتها، وكان رئيس تحريرها الشيخ مرزا موحد ، وكان عالماً بالتنصير ومخابئه ، ووجود هذه المجلة كان صمام أمان لآلاف الأسر من التنصير في منطقة بنكلور خاصة وفي الهند الموحدة عامة .

2/ مجلة أنجمن نعمانية:

أصدرت هذه المجلة أنجمن نعمانية – المنظمة النعمانية – ، ولها نشاطات إسلامية مختلفة ، منها إنشاء دور الأيتام ، والإشراف على المدارس الدينية ، وما زالت المنظمة قائمة في مدينة لاهور حتى اليوم في تقاطع يتيم خانه .

وصدرت مجلتها في رد التنصير عام 1881م ، واستمر نشاطها كمجلة شهرية متخصصة في رد شُبه النصارى لمدة عشرين عاما ، ثم تحولت إلى ربع سنوية ، ثم سنوية ، وما زالت تصدر حتى اليوم بين الحين والآخر دون انتظام ، إلا أنها لا تتعقب التنصير الآن .

وامتازت في بكورة نشاطها بنشر مطاعن النصارى والرد عليها من قبل العلماء الذين يدرسون في مدارسها ، وكادت أن تكون الردود محصورة فيهم ، وقد اطلعت على أعداد منها في مكتبة البنجاب القديمة . أسأل الله أن تزود الدولة المكتبة معونة مالية لحفظ هذا التراث الذي يعلوه الغبار منذ مائة وثلاثين عاما .

3/ مجلة عصمت (العصمة)

وأصدرها الشيخ رزاق الخيري بن الشيخ راشد الخيري من دهلي بالهند ، و امتازت بمحاربة التنصير في صفوف النساء المسلمات ، وكانت توزع أعداداً مجانا في المناطق التي يكثر فيها النشاط التنصيري ، وقد حصر ميزتها احد المهتمين بالدفاع عن الإسلام فقال : (وَقَفَتْ هذه المجلة في الفترة الإستعمارية سداً منيعاً أمام جحافل المنصرات اللائي كن يغزون بيوت المسلمات ويحاولن تنصيرهن) ([152])

4/ مجلة أخبار مسلمان :

قام بإصدارهذه المجلة الأسبوعية الشيخ ثناء الله أمرتسري ، وظلت تصدر بانتظام من عام 1900م إلى 1913م دون انقطاع ، وتجد العدد فيها مقسوما إلى قسمين : يختص الأول بمناقشة شبهات النصارى بينما الأخير يقدم موضوعات تحتاجها الساحة المسلمة في مثل هذه الظروف مستقاة من الكتاب والسنة .

5/ مجلة أخبار أهل حديث:

أصدر الشيخ ثناء الله أمرتسري مجلة أخرى باسم (أخبار أهل حديث) – أخبار أهل الحديث – و كان أول صدورها يوم 12 نومبر1903م واستمرت تصدر دون انقطاع بضعة وأربعين عاما ، وتوقفت في جولائي عام 1947م .

وكلا المجلتين كان يشرف عليهما الشيخ نفسه ، وكثيراً ما كتب فيهما الردود المفحمة للقسس والتنصير ، ولم يكن يتقيد بنشر الردود لغير علماء الحديث ، بل كانت المجلة تنشر الردود لكل علماء الإسلام ، دون تفريق بين الحنفي والسلفي .

وقد اطلعت على مجلدات المجلتين في مكتبة ربوة القاديانية عام 1980م ، وكانت بحالة جيدة ، تنبئ عن اهتمام المكتبة بالتراث بغض النظر عن كونه يؤيدها أو ينقدها .

القسم الثالث : المناظرات الكتابية:

لم يترك علماء الإسلام وسيلة من وسائل الدفاع عن دينهم إلا سلكوها ، فمن ذلك مناظرات جرت بينهم وبين دعاة التنصير ، وكان النصراني يكتب اعتراضاته على الإسلام فيجيبه العالم المسلم ، ويعترض العالم المسلم على قضايا في الدين النصراني ويجيبه القسيس .

وحصر مثل هذه الكتابات الاعتراضية وإجاباتها أمر يحتاج إلى وقت واسع ، لأن عددها يتجاوز العشرات ، وقد تستمر بين الطرفين أشهر متعددة ، وقد تكون بلغتين – الفارسية ، والأردية – على أقل تقدير .

وسأكتفي بذكر أمثلة ، وما تميز به كل كاتب ، سواءً كان معترضاً او مجيبا

1/ المناظرة الكتابية بين الشيخ أل حسن والدكتور فندر

تعد هذه المناطرة الكتابية أول مناظرة بين عالم مسلم وقسس نصراني في القارة الهند الموحدة ، فقد أرسل القسيس الدكتور فندر كتابيه (ميزان الحق) و(طريق الحياة) عن طريق صاحب القسيس ليعرض على الشيخ ، وطلب منه الإجابة على تساؤلاته واعتراضاته ، وكتب أول خطابه عن ذلك في 22 جولائي 1894م .

فشكره الشيخ على إرسال الكتب ، وأخبره بأن الإجابات على اعتراضاته موجودة في كتبه التي يضع الآن وسيظهر في الساحة قريباً وسترى الإجابات بأم عينيك .

ثم وضع له شروطاً في تواصل المراسلات المناظِرة منها :

أ/ متى ذكرت اسم إله الإسلام اذكره بصيغة التعظيم ، كما يذكره أهل اللغة ، وإن أعدتَ إليه ضميراً فاجعله في صيغة الجمع ، وإن أبيت فلا داعي للمراسلة .

ب/ متى رأيت أمراً منسوباً إلى نبي الإسلام ، وتعتقد عدم صحته ، فإياك والتفوه بأنه كذب أو افتراء أو هرطقة أو لغو، بل اكتب مكانه هذا غير ثابت أو محال .

ت/ متى سألت عن أمرٍ ما حدد لإجابته فترة زمنية لا تقل عن أسبوع .

ث/ فإن كتبت صيغة تعظيم مع نبي الإسلام في أمرٍ ما فإنا لن نفهم منه بأنك رضيت ذلك الأمر وسلمت به .

قبل الدكتور فندر بعض هذه الشروط ، واستمرت المناظرة سبعة أشهر ، شملت جل القضايا الخلافية بين علماء المسلمين وقساوسة التنصير ، وأعظم ذلك التحريف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والتثليث ، وتوقفت من قبل القسيس في 4 جنوري 1845م دون نتيجة حاسمة .([153])

2/ المناظرة الكتابية بين الدكتور وزير خان والدكتور القسيس فندر

فقد أرسل الدكتور وزير خان أربع عشرة رسالة وتلقى من الدكتور فندر إحدى عشرة رسالة جوابية، شملت موضوعات من أعظمها إثبات رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، والتحريف في الكتاب المقدس.

واستمرت هذه المناظرة ثلاثة شهور بدأت في 15 مني 1854م وتوقفت في 16 اكست 1854م ، وكانت البداية من الدكتور فندر والتوقف منه أيضاً بعد أن كتب في أخر رسالة له جملاً مسيئة إلى نبي الإسلام محمدٍ صلى الله عليه وسلم .([154])

3/ المناظرة الكتابية بين الشيخ مولا بخش والقسيس فيلدر

ينتمي الشيخ مولا بخش إلى مدينة كانبور بالهند ، وكان يتصدر منصة المناظرة فيها ، وكان القسيس فيلدر هو المسئول عن التنصير في تلك المنطقة ، واستمرت هذه المناظرة قرابة سنة 1884م ، ومن أهم موضوعاتها إثبات رسالة سيد الأنبياء محمدٍ صلى الله عليه وسلم .([155])

القسم الرابع : المناظرات الكلامية:

يعود تاريخ المناظرات الكلامية إلى مؤسس الدولة المغولية جلال الدين أكبر ، فقد سمح للقساوسة بتبليغ دينهم في جميع مدن المملكة – كما سبق الحديث عنه في مبحث تاريخ التنصير – ووجود رد الفعل أمر فطري من المسلمين ولاسيما من علمائهم .

وأصبح الموقف أشد ضراوة بعد احتلال الهند من قبل الإنجليز ، وتسلطهم على مقاليد الأمور فيها ، ولإبقاء السلطة في أيديهم جلبوا جحافل القساوسة من الدول الغربية الذين أوقفوا حياتهم لتنصير سكان الهند ، وبما أن المُلك سُلب من المسلمين كان التركيز عليهم أقوى وأشد .

يصف الشيخ محمد مقتدى أثري هذا الجو المكفهر فيقول:(في عام 1872م أطل النصارى برؤوسهم من مدينة لدهيانة–بالهند–في صورة إصدار مجلة (نور أفشان) التي عملت مثل عمل إلقاء الزيت على النار ، فتجد هنا مناظرات مع النصارى ، وهنا تؤلف كتب في الرد على افتراءاتهم ، وهناك توزع مطويات ضد نشاطهم التنصيري...) ([156])

فالمناظرات الكلامية باب واسع يكاد أن يساوي كتب الرد على القساوسة والتنصير عدداً ومساحة ، فما من مدينة من مدن الهند الموحدة إلا وتجد فيها مناظرات بين القسس وعلماء الإسلام طوال السنة ، لذلك ساكتفي بذكر أشهر أربع مناظرات فقط : عَمَتْ شهرتها أرجاء الهند كلها ووصلت شهرة بعضها إلى بلاد غير المسلمين .

1/ مناظرة الشيخ رحمة الله كيرانوي والشيخ الطبيب وزير خان مع القسيس فرنج وزملائه:

اتفق المسلمون والنصارى على تكوين فريق للتناظر في القضايا الخلافية بين المسلمين والنصارى ، فبرز من قبل المسلمين الشيخ رحمة الله يساعده الشيخ وزير خان ، وكان الطرف المقابل يتكون من القسيس فرنج يعاونه عددٌ من القساوسة .

وانعقدت المناظرة في أواخر ربيع الآخر 1279هـ = 1854م، وكان موضوع المناظرة دخول التحريف إلى العهد القديم والجديد ، وانتهت المناظرة بجملة الطبيب التي مؤداها: قد أثبتنا لكم أكثر من مائة موضع دخله التحريف في العهدين،ولم تقدوا لنا خمسة مواضع تمس القرآن الكريم في التحريف.([157])

2/ مناظرة الشيخ محمد عبد الباري سهسواني مع القسيس المحلي عماد الدين:

قدم الشيخ محمد عبد الباري في جولة اعتيادية لتوعية المسلمين في مدينة آكره بالهند عام 1294هـ ، وأفاض الشيخ في توعيتهم في الرد على التنصير ، فتقدم القساوسة بعقد مناظرة معه ، فاستجاب لهم الشيخ ومثل طرف المسلمين بمفرده ، ومثل الطرف النصراني القسيس عماد الدين يعاونه قساوسة من منطقة البنجاب ، وعقدت هذه المناظرة في مدينة آكره عام 1294= 1871م .

وتكلم الشيخ عن الدين النصراني ، وأقنع الجمهور بالتحريف فيه ، ثم أعطى الدور لرئيس فريق القساوسة ، فاعتذر عن الرد خوفاً من الفتنة ووقوع الاقتتال بين الجمهور ، وطالبه المسلمون بالرد الكتابي فوعد بذلك إلا أنه لم يف بما وعد . ([158])

3/ مناظرة الشيخ ثناء الله أمرتسري مع القسيس المحلي محمد سلطان بال:

اعتادت المنظمات الإسلامية المستقلة في باكستان والهند عقد مؤتمرٍ سنوي لها كل سنة ، للنظر في نتائج عملها في السنة الماضية والتخطيط للسنة الآتية ، ومن هذه المنظمات منظمة (أنجمن أهل حديث) – جمعية أهل الحديث – ، ففي يوم 27+ 28 فروري 1926م عقدت مؤتمرها السنوي في مدينة كوجرانواله بباكستان ، فتحداها القسيس محمد سلطان بال بعقد مناظرة معه في هذا الحفل السنوي .

فانبرى له الشيخ ثناء الله أمرتسري ، وعقدت المناظرة ، فتكلم الشيخ وأقنع الجمهور بدخول التحريف في الدين النصراني ، ورد عليه القسيس بإجابات غير مقنعة ،فجاءت الضربة القاضية في صورة إعلان نصراني الإسلام في وسط المناظرة ، ونطق بشهادة التوحيد والخضوع لله رب العالمين . ([159])

4/ مناظرة الشيخ رحمة الله كيرانوي مع رئيس التنصير الدكتور فندر:

أعظم هذه المناظرات وأشهرها في العالم هي المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر في مدينة أكبر آباد بالهند في رجب عام 1270هـ = 10 إبريل 1854م .

ويذكر الشيخ رحمة الله سبب عقدها فيقول : (وكان عوام أهل الإسلام إلى مدة متنفرين عن استماع وعظهم ومطالعة رسائلهم ، ... وإني وإن كنت منزوياً في زاوية الخمول ، وما كنت معدوداً في زمرة العلماء الفحول ... فألفت أولاً الكتب والرسائل ليظهر الحال لأولي الألباب ، واستدعيت ثانياً من القسيس الذي كان بارعاً وأعلى كعباً من العلماء المسيحيين الذين كانوا في الهند ، ...أعني مؤلف ميزان الحق أن يقع بيني وبينه المناظرة في المجلس العام) ([160])

وكانت الدولة الاستعمارية تطمع في غلبة فندر ، لذا كلفت العديد من أركانها بحضور المناظرة وتوثيقها ، فحضرها حاكم أكبر آباد السيد علي وقاضي قضاتها محمد أسد الله ومفتي المدينة محمد رياض وكثير من وجهائها كأمجد علي. وضبطت المناظرة بلغتين الفارسية والأردية في صورة محضرٍ موثوق ، وأرسلت إلى مسئولي دولة الاستعمار للنظر فيها وتحديد سياستها نحو قضايا الإسلام والمسلمين ([161])

وحددت موضوعات المناظرة بين الطرفين في تسع رسائل متبادلة وانحصرت في خمس وهي : التحريف ، والنسخ، والتثليث ، وحقيقة القرآن ، ونبوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم. ولا شك أنها أمهات المسائل المتنازع عليها بين المسلمين والمسيحيين . ([162])

واتفق الرأي على تكوين فريقين للمناظرة ، فرأس الفريق الأول الشيخ رحمة الله وأعانه فريق من العلماء ورأس الفريق الثاني الدكتور فندر وأعانه فريق من القساوسة وخُصص لكل قضية يوم كامل للمناظرة ، ففي اليومين الأولين من المناظرة دحر الشيخ خصمه في مسائل التحريف والنسخ ، وأيقن الدكتور الهزيمة فأعلن في الجمهور عدم مواصلته للمناظرة في القضايا المتبقية . ([163])

وبذلك اختفى الدكتور من ساحة التنصير ليتحقق وعد الله ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ([164])

الخاتمة والنتائج:

لكل جهدٍ نتيجة ، وجهدي هذا المتواضع قادني إلى النتائج التالية :

1/ نسبة النصارى آتية من ادعائهم نصرة دين المسيح عليه السلام ، وانتسابهم إلى قرية الناصرة معاً .

2/ المسيح سمي مسيحاً لمسح الكاهن له بزيت الزيتون على العادة اليهودية المتبعة ، حين رأى فيه تقوى بارزة .

3/ مجمع نيقية والمجمع القسطنطيني الأول هما الأساس في تحويل عقيدة التوحيد إلى التثليث لدى النصارى .

4/ دعوة عيسى ابن مريم لم تكن عالمية ، بل إنها تختص ببني إسرائيل دون سائر الأمم .

5/ رواية تُوما (رسول الهند) وما ارتبط بها من أحداث لا يستند إلى دليل معقول .

6/ عهد الملك جلال الدين أكبر يعد عهد خصوبة التنصير ، لذا يُوصف من قبل دعاة التنصير بالملك المتسامح .

7/ المنصرون البرتغاليون أول الناس قدوماً إلى الهند.

8/ المنصرون البريطانيون استظلوا بظل الدولة ، واكتسبوا الصبغة الرسمية من مظلتها

9/ وزارة الأمور الدينية التي كانت تدير شؤون البلاد الدينية اختص بها القسس ، لا ينازعهم فيها أحد .

10/ رئيس دعاة التنصير في الهند الموحدة كان هو الدكتور فندر أيام الاستعمار .

11/ من أعظم وسائل التنصير توزيع المطبوعات ويتولى مهام طباعتها الآن أكثر من ثلاثين إدارة نصرانية مسجلة رسميا لدى دولة باكستان .

12/ من أعظم مجلات دعاة التنصير كرسجن وائس (صوت النصارى) وشعاع نور ، و (مستقبل هيلته) مستقبل الصحة

13/ استغلال الفقر والحاجة ، وإقامة دور الأيتام ، والمستشفيات الراقية بأسعار مخفضة من أعظم الوسائل لإنجاح التنصير .

14/ الكليات العلمية والحرفية من الوسائل الناجحة لبث التنصير في الطبقة المثقفة من المسلمين .

15/ وَجَّه دعاةُ التنصير أعظم سهامهم إلى نقض مصادر الإسلام من القرآن الكريم وسنة سيد الخلق محمدٍ صلى الله عليه وسلم .

16/ حاول دعاة التنصير نفي التحريف في الكتاب المقدس بعهديه إلا أن الفشل كان نصيبهم .

17/ من أعظم الوسائل لمقاومة التنصير تأليف الكتب الإسلامية ، وأمتنها دلالة كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله كيرانوي .

18/ من الوسائل التي دافع بها المسلمون عن دينهم إصدار المجلات للرد على دعاة التنصير ، والهجوم على معتقداتهم الباطلة ، ومجلات الشيخ ثناء الله الأمرتسري لها الصدارة في هذا الميدان .

19/ المناظرات الكتابية استعملت كوسيلة من وسائل النقاش بين علماء الإسلام ودعاة التنصير ، إلا أن أثرها محدود لا يكاد يذكر .

20/ المناظرات الكلامية بين القسس وعلماء الإسلام ذات تأثير بَيِّنٍ ، ويمكن عدها كصمام الأمان لعقيدة التوحيد .

21/ مناظرة الشيخ رحمة الله كيرانوي الكلامية العامة مع رئيس التنصير الدكتور فندر ، وانهزامه فيها أمام الملأ كانت قاصمة الظهر لدعاة التنصير آنذاك .

الهوامش

1 سورة الأنعام آية 55 .

2 سورة النساء آية 136

3 سورة المائدة آية 14 .

4 سورة الأنعام آية 108 .

5 إلى أقوال سلمان تأثير حاكم منطقة البنجاب الذي قتله أحد حراسه الشخصيين لتفوهه ضد هذا القانون قبل سنتين تقريباً . وأقوال فوزية وهاب وزيرة الإعلام التي هلكت في 18 جون 2012م ، وشيري رحمن سفيرة باكستان في أميركا حالياً .

6 أحمد بن فارس تحقيق عبدالسلام هارون، معجم مقاييس اللغة،نشر دار الفكر ج5ص435 .

7 سورة الحج آية 15

8 ص 210 ج5.

9 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب نشر دار،صادر بيروت الطبعة الثانية 1412هـ 1982م،ج 5 ص 210 وما بعدها ، سيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس ج3 ص 567 وما بعدها ، إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2 ص 829، المنير... للطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح ج4ص380 ، المعجم الوسيط للمجموعة مطابع دار المعارف 1400هـ 1980م ، دون تحديد مكان الطباعة نشر مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث،ج2 ص 925 .

10 زبيدي ،تاج العروس ج3 ص 568 ، والمعجم الوسيط ج 2 ص 925 .

11 سورة الصف آية 14 .

12 جوهري ،الصحاح ج2 ص 829، ولسان العرب ج5 ص 211 .

13 تاج العروس ج 3 ص 569 ، وترتيب القام س ج4 ص 380 ، والمعجم الوسيط ج2 ص 925 .

14 تاج العروس ج3 ص 569 .

15 المعجم الوسيط ج 2 ص 925 .

16 وهو الذي لم يختتن .

17 تاج العروس ج3ص569 ، الصحاح للجوهري ج2 ص 829 ، لسان العرب ج5 ص 211 .

18 سورة آل عمران آية 45 .

19 الإصحاح الأول فقرة 18- 21 ص 3.

20 كلمة ابن تلزم الألف هنا لفقدانها شرطاً من شروط الحذف ، وهو أن يكون الاسم الثاني أباً للأول ، وهنا أم لذا تلزم الألف ، ومثيلها من الكلمات قليلة في اللغة لذا يخطئ كثير من المتعلمين في كتابتها .

21 إنجيل مرقس الإصحاح الأول فقرة 1 ص 56، وإنجيل لوقا الإصحاح الأول فقرة 31 ص 90 ، وإنجيل يوحنا الإصحاح الأول فقرة 17 ص 145 .

22 لمزيد من المعلومات، للشيخ أبي محمد المقدسي، التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية، دون ذكراسم المطبعة وسنة الطباعة ومكان الطباعة نشر مكتبة ندارد كراچي باكستان،ص5

23 الشيخ عبد الحق حقاني ، تفسير فتح المنان، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة نشر مير محمد كتب خانة كراچي باكستان، ج2ص 55 .

24 سورة النحل آية 36 .

25 سورة آل عمران آية 50-51 .

26 فقرة 8-10 ص 6 .

27 فقرة 73-75 .

28 الشيخ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، مطبعة الحلبي القاهرة دون ذكر سنة الطباعة،ص 36 . وانظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة دار الفكر بيروت دون تحديد اسم المطبعة وسنة الطباعة . ص 1652 وص 1867 .

29 المصدر السابق ص 133 . وانظر الموسوعة العربية الميسرة ص 1652 .

30 سورة المائدة آية 72-75 .

31 سورة آل عمران آية 48-49 .

32 السامريون فرقة من فرق الديانة اليهودية اعتنقوا الديانة وهم من غير بني إسرائيل .

33 الإصحاح العاشر فقرة 5-6 .

34 الإصحاح الأول فقره 64- 68 ص 91 .

35 الإصحاح الحادي والعشرون فقرة 15-17 ص 188 .

36 الإصحاح الثامن والعشرون فقرة 18-19 .ص 55

37 تفسير القرآن ج1 ص134 .

38 بخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصلاة ، باب قول النبي جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة 1380 هـ ، ج1 ص 533 رقم الحديث 438 .

39 سورة آل عمران آية 52 .

40 الحواريون هم الأنصار والحماة والمدافعون . انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص135 .

41 للتفصيل إنجيل متى الإصحاح العاشر فقرة 2-4 ص17 ، وإنجيل مرقس الإصحاح الثالث فقرة 15-19 ص 60 ، وإنجيل لوقا الإصحاح السادس فقرة 13-16 ص 101 ، وأعمال الرسل الإصحاح الأول فقرة 13 ص 189 .

42 تعني الكلمة في اللغة العبرية (الجزيرة) وفي الآرامية (توأم) وجاءت ترجمتها في اليونانية متفقة مع الآرامية (ديديمس) . وتتبع الروايات الإنجيلية تقود إلى الجزم بمعنى توأم ففي إنجيل يوحنا (توما الذي يقال له التوأم) الإصحاح21 فقرة 1 ص 187 .ورواية ولادة أخته معه في بطن واحد تؤيد هذا المفهوم انظر لتفصيل حياته (توما هند وباك مين) توما في الهند وباكستان ليوسف مسيح ياد ص20 .

43 لتفصيل الحدث ، إنجيل يوحنا الإصحاح 14 فقرة 5 وما بعدها ص 175 .

44 للتفصيل ، إنجيل يوحنا الإصحاح 20 فقرة 19-29 ص 186- 187 .

45 لتفصيل القصة : مقدس توما رسول هند (توما رسول الهند المقدس) للقسيس بركت الله ص9

46 للتفصيل روشني كا رسول (الرسول المنير) للقسيس رحمت إيم حاكم ص40 .

47 للتفصيل مقدس توما رسول هند ص 109- 122 .

48 للتفصيل فرنكيون كا جال (شباك الفريجة) ل إمداد صابري ص 31 .

49 ايس كي داس ،تاريخ كليسائي باكستان (تاريخ الكنيسة في باكستان)، نشر ي ايس بلي كيشنز لاهور 1995 م،ص 62

50 للتفصيل فرنكيون كا جال ص 41 .

51 لمزيد من التفصيل فرنكيون كا جال ص42 .

52 فرنكيون كا جال ص 32 لتفصيل مثل هذه الأحداث ، للقسيس سي دبليو رينن ، خادم الدين، كليسائي هند أور مسيحي (كنيسة الهند وخدامها المسيحيون) نشر ريليجس بك سوسائتي لاهور، ص22 وانظر للدكتور نادر رضا صديقي باكستان مين مسيحيت (التنصير في باكستان)المطبعة العربية 1979م نشر مسلم اكادمي لاهور باكستان،ص 265

53 لتفصيل طريقة التربية فرنكيون كا جال ص 31 .

54 إمداد صابري، فرنكيون كا جال، مطبعة كوه نور بريس 1979 دهلي الهند، ص 33 .

55 خادم الدين ،كليسائي هند أور مسيحي، ص22 .

56 خادم الدين، كليسائي هند أور مسيحي، ص 22 .

57 لتفصيل العمل التنصيري الفرنسي ، فرنكيون كا جال ص 33-34 . وباكستان مين مسيحيت ص266-267 .

58 للتفصيل تاريخ كليسائي باكستان ص 86-87 .

59 للتفصيل تاريخ كليسائي باكستان ص 259 .

60 تاريخ كليسائي باكستان ص 85 وما بعدها .

61 تفصيل ذلك ف ضياء النبي للبير كرم شاه الأزهري،نشر ضياء القرآن بيليكيشنز لاهور باكستان، ج6 ص 265

62 لتفصيل حياته ، فرنكيون كا جال ص 159 .

63 لتفصيل حياته فرنكيون كا جال ص159-161 . وتاريخ كليسائي باكستان ص 108-109 .

64 للتفصيل مقدمة كتاب الاستفسار للدكتور خالد محمود ص41 . والأعلام للزركلي ج3ص18.

65 لتفصيل حياته فرنكيون كا جال ص 35 .

66 للتفصيل فرنكيون كا جال ص 34 . وتاريخ كليسائي باكستان ص 87 .

67 للتفصيل عن حياة هؤلاء وأعمالهم الدعوية مقدمة كتاب الاستفسار ص41-42 . وإسلام اور مسيحيت (الإسلام والمسيحية) للشيخ ثناء الله الأمرتسري ص12 .

68 سيطرة الإسلام على النصارى ص 119 .

69 حافظ شفيق الرحمن، باكستان مين أقليتون كي جنت (باكستا ن جنة الأقليات)، رسالة ماجستير،غير مطبوعة نال بها الدرجة العلمية من جامعة ملتان عام 2007م ،ص 27 .

70 انظر فهرس الكتاب ص 490- 495 . وانظر للتفصيل قران السعدين للخواجة نشره آغا شهباز خان من مدينة سيالكوت الطبعة الأولى 1926م .

71 قسيس عماد الدين لاهز تعليم محمدي، الناشر وكيل هند بريس بمدينة أمرتسر بالهند طبعة 1880م، ص286

72 تعليم محمدي ص 182 .

73 تحقيق الإيمان للقسيس عماد الدين لاهز ص 22 .

74 قسيس عما الدين لاهز، تواريخ محمدي ،مطبعة آفتاب بنجاب بريس بمدينة أمرتسر بالهند 1871م، ص 23

75 تواريخ محمدي ص 152 .

76 تواريخ محمدي ص 108 .

77 قسيس صفدر علي، نياز نامه دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة الناشر نارته انديا تراكت سوسائتي لكهنؤ الهند 1878 م،ص 2 وأنظر للتفصيل Muhammad Objections to Christianity By Dr. Disdall p 106قام بترجمته ونشره مدير التحرير مجلة بحوث المصرانية

78 محمد [illegible] ،نشر ريليجس بك سوسائتي لاهور 1902م ص 20

79 ص17

80 ص 20 .

81 Battles of Badar and Uhad p3 ترجمه إلى اللغة الأردية البروفيسور محمد اسماعيل بعنوان (غزوة بدر وأحد)

82 البروفيسور محمد اسماعيل، جنك بدر وأحد (غزوة بدر وأحد) للقسيس أي سيل ترجمه إلى اللغة الأردية، مطبعة مشن بريس إله آباد الهند 1919م نشر وتوزيع كرسجن لتريجر سوسائتي فار انديا بنجاب، ص4 .

83 جنك بدر وأحد ص 5 .

84 جنك بدر وأحد ص 38 .

85 جنك بدر وأحد ص 40 .

86 جنك بدر وأحد ص79 .

87 للقسيس الخواجة ,ص 17

88 ص29 .

89 ص 37 .

90 ص 92 .

91 ص 217 .

92 ص 136 .

93 ص 151 .

94 ص 190 .

95 قسيس بركت الله، نور الهدى، الطبعة الأولى 1929م دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة الناشر أنور منزل ساندها رود لاهور باكستان، ج1ص 8 .

96 بركت الله،نور الهدى للقسيس، ج2ص 62 .

97 بركت الله،نور الهدى للقسيس، ج2 ص 165

98 بركت الله،نور الهدى للقسيس، ج2 ص 166 .

99 بركت الله، نور الهدى للقسيس، ج2 ص 167 .

100 بركت الله، نور الهدى للقسيس ، ج2 ص 167 .

101 بركت الله، نور الهدى للقسيس ، ج 2 ص 167 .

102 حضرت محمد أور كتاب مقدس (السيد محمد والكتاب المقدس)، الطبعة الثالثة 1958 م دون تحديد اسم الطبعة ومكان الطباعة الناشر بنجاب ريليجس بك سوسائتي ، أنار كلي لاهور،ص4

103 تورات موسوي أور محمد عربي (توراة موسى ومحمد العربي) للقسيس بركت الله ص 3 .

104 ص 16 .

105 بركت الله ،محمد عربي للقسيس، ص 30 .

106 ص 172 . وانظر للتفصيل ص 39- 40

107 ص 49 .

108 فارقليط للقسيس وكلف A سنكه دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة الناشر مينار كتب فيروز بور رود لاهور باكستان،ص25

109 قسيس . c. g ،ميزان الحق، فندر دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة الناشر بنجاب ريليجس بك سوسائتي لاهور باكستان 1902م،ص 103- 104 . وانظر لتفصيل هذا المعتقد قِران السعدين للخواجة ص62-67

110 تعليم محمدي ص128-129 .

111 نياز نامة ص 6 .

112 نياز نامة ص 112 .

113 نياز نامة ص 209 .

114 نياز نامة ص 104 .

115 ذنوب محمدية، دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة الناشر اميركن تريكت سوسائتي 1905م ،ص 14

116 ج1 ص 23 .

117 قسيس سلطان محمد بال خان، تصحيف التحريف، مطبعة مهان سنكه باغ لاهور باكستان 1925 م، ص 10

118 تصحيف التحريف للقسيس سلطان محمد بال خان ص19 وانظر للتفصيل ص 14

119 تصحيف التحريف للقسيس سلطان محمد بال خان ص 3 .

120 سيوت مسيح والمحمد للقسيس G.L تماكر داس،ص4

121 سيوت المسيح والمحمد للقسيس G.L تماكر داس ص6 .

122 سيوت المسيح والمحمد للقسيس G.L تماكر داس ص 14 .

123 منار الحق لـ بنجاب ريليجس بك سوسائتي ص160

124 ص 130 .

125 ص 163 و 190 .

126 ص 164 .

127 ص 125 .

128 ص 150 .
129 ص 162 .
130 فرنكيون كا جال لإمداد صابري ص 197 .
131 تصفحته بجزأيه بمجموع صفحاته 1314 صفحة .
132 الشيخ تقي عثماني،إظهار الحق، الترجمة الأردية دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة الناشر مكتبة دار العلوم كراچي باكستان 2004م، ج1 ص 212
133 الشيخ سيد آل حسن مهاني، كتاب الاستفسار، نشر دار المعارف كراچي باكستان دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة،ص160-380 .
134 كتاب الاستفسار للشيخ سيد آل حسن مهاني ص 390-580 .
135 الشيخ جراغ، تحقيق الجهاد علي نقله من الإنجليزية إلى الأردية، الشيخ خواجة غلام حسنين دون تحديد اسم المطبعة وسنة الطباعة الناشر مكتبة أخوت بمدينة لاهور في باكستان،ص 11 .
136 السيد أحمد خان،خطبات الأحمدية على الغرب والسيرة المحمدية، دون تحديد اسم المطبعة وسنة الطباعة الناشر دوست ايسوسي ايتس لاهور باكستان،ص12.
137 الشيخ ألطاف حسين حالي، مقدمة ترياق مسموم للشاعر المسلم، مطبعة سيد المطابع دهلي الهند دون ذكر سنة الطباعة، ص5
138 الشيخ محمد علي كانبوري، دفع التلبيسات، مطبعة نامي بريس بمدينة كانبور بالهند عام 1302هـ،ص3 وما بعدها
139 الشيخ عنايت رسول عباسي جرياكوتي ، بشرى، مطبعة هجرة انتر نيشنل ببلشر لاهور 1984م،ص 243.
140 بشرى للشيخ عنايت رسول ص 380 وما بعدها .
141 الشيخ حافظ ولي الله محمدي لاهوري،صيانة الإنسان في رد تحقيق الإيمان،مطبعة مصطفائي لاهور عام 1289هـ،ص52
142 الشيخ أبو المحمود هدايت الله سوهدري، إسلام أور عيسائيت— الإسلام والمسيحية —، دون تحديد اسم المطبعة نشر مكتبة أهل حديث سوهدره ضلع كوجرانواله باكستان الطبعة الثانية عام 1963م،ص 120 وما بعدها
143 إسلام أور عيسائيت — الإسلام والمسيحية للشيخ ملك أبو المحمود سوهدري ص 142 وما بعدها .
144 الشيخ بشير أحمد حسيني، محمدتم كون هي— من هو محمد —، مطبعة إسلامي كتب خانة بمدينة شور كوت بباكستان عام 1997م،ص 30 وما بعدها .
145 الشيخ بشير أحمد حسيني ، فارقليط كون هي — من هو فارقليط —،مطبعة إسلامي كتب خانة شور كوت ضلع جهنك باكستان عام 1986م،ص25 وما بعدها .
146 للتفصيل مجلة محدث البنارسية بالهند عدد جنوري 2007 ص 20 .
147 الشيخ إبراهيم سيالكوتي، عصمت أنبياء — عصمة الأنبياء —، مطبعة بنجاب بريس بمدينة سيالكوت باكستان دون تحديد سنة الطباعة، ص 12 وما بعدها .
148 الشيخ إبراهيم سيالكوتي، عصمت نبوت — عصمة النبوة —،مطبعة رفاه عام بريس لاهور باكستان عام 1912م، ص 44 وما بعدها .
149 سورة الحجر آية 9.
150 كمثال مقالة الشيخ محمد عبد الغفور (زيد وزينب ومحمد كا معاملة) — قضية زيدٍ وزينب ومحمدٍ صلى الله عليه وسلم مجلة منشور محمدي عدد 55 ص 46-82 عام 1872م
151 فرنكيون كا جال ص 310.
152 فرنكيون كا جال ص 317.
153 فرنكيون كا جال ص 211-213 .
154 لتفصيل هذه المناظرات الكتابية فرنكيون كا جال ص214-216.
155 وقد طبعت هذه المناظرة انظر تفصيلها : مراسلات مذهبي — المراسلات المذهبية – للشيخ مولا بخش .
156 تذكرة المناظرين ص89.
157 لتفصيل المناظرة إزالة الشكوك للشيخ رحمة الله كيرانوي ج2 ص 441-447.
158 لتفصيل هذه المناظرة تذكرة المناظرين ص 123 وما بعدها .
159 الشيخ عبد المجيد سوهدري، تفصيل المناظرة في سيرت ثنائي، سيرة الشيخ ثناء الله ،دون تحديد اسم المطبعة نشر مكتبة أهل حديث سوهدره ضلع كوجرانواله باكستان عام 1978م،ص 415.
160 إظهار الحق ص7-8 .
161 إظهار الحق ص 39 .
162 إظهار الحق ص 8 .
163 إظهار الحق ص 9 ،20 ، 24 ، 44 .
164 سورة غافر آية 51 .

استنباطات الشيخ أبي الحسن السندي الكبير الفقهية الواردة في تعليقاته على صحيح البخاري

عبد الحي أبرو*
مختار أحمد كاندرو**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن تعليقات السندي على الكتب الستة ومسند الإمام أحمد نالت شهرة واسعة وقبولاً منقطع النظير عبر القرون وعلى تعاقب الأجيال. وفي هذا البحث حاولنا متابعة وإبراز جانب الاستنباط الفقهي في تعليقاته، وقد مهدنا لذلك بترجمة للمؤلف، ثم أتبعناها بالكلام عن أصل الموضوع.

نبذة عن حياته وطلبه للعلم:

محمد بن عبد الهادي وكني بأبي الحسن واشتهر بها بين الأوساط العلمية وأصبح كجزء من اسمه الذي لا ينفك عنه حتى شُبه على بعض علماء السير والتراجم فأخطأوا في اسمه، كما وقع عمر رضا كحالة في الخطإ نفسه، حيث سماه (سند بن عبد الهادي المدني) [1]. ولقب بنورالدين لخدماته الجليلة، وبالكبير أيضاً للتمييز بينه وبين تلميذ تلميذه أبي الحسن محمد صادق بن غلام حسين الصغير وكلاهما من نزلاء المدينة الطيبة.

ولد بمدينة تته من بلاد السند وكانت مدينة العلم والحضارة في ذلك الوقت ولم نعثر على تاريخ مولده في كتب التراجم ويغلب على الظن أنه كان ولد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر[2]. ونشأ وترعرع في بيت علمي حيث كان والده من كبار علماء تته. وأخذ بقسط وافر من العلم في بلده على يد جماعة من الشيوخ والعلماء، ومن سوء الحظ لم ترد أسماؤهم في كتب التراجم والسير عدا والده الشيخ عبد الهادي السندي. وبلغ من الفقه واللغة والتفسير وعلوم أخرى مبلغا عظيما حتى سُمي في بلده (تته) بـ(رئيس علمائها) كما نوه بذلك العلامة الفقيه محمد هاشم التتوي السندي[3]. وبعد تحصيل العلم على شتى فروعه ومجالاته المتداولة ذاع صيته بين الناس ، فتخطفوا حوله لطلب العلم من كل زاوية وناحية. وتأثروا بأسلوبه في حل العويصات ودقائق العلم وغوامضه.

رحلته في طلب الحديث:

من المعلوم أن للرحلة في طلب الحديث أثرا كبيرا في انتشار السنة وجمعها وتمحيصها والتثبت فيها؛ فكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يرحلون لسماع الحديث، ولم يصلنا الحديث النبوي في مصنفاته وكتبه مرتبا بأسانيده وعلى أبواب جامعة كل منه في موضوع خاص إلا بعد أن خدمه الصحابة والتابعون وأتباعهم من العلماء من بعدهم ووقفوا عليه حياتهم فجزاهم عنا خير الجزاء. ويكفينا اليوم أن نقرأ في ترجمة أحدهم "أنه فلان بن فلان

---

*أستاذ مشارك (شريعة) الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان
**محاضربقسم مقارنة الأديان والثقافة الاسلامية، كلية الدراسات الاسلامية جامعة السند جامشورو، باكستان